المجلد التاسع والعشرون للعام ٢٠٢٥م
حولية كلية اللغة العربية بجرجا

# لامية المُزَرِّد بن ضِرار

# "مفردات البيئة وجماليات الفن"

## Al-Muzardid ibn Dirar's Lamiyat: Environmental Vocabulary and Artistic Aesthetics

إعداد الدكتور

**محمود فؤاد أحمد محمد**

مدرس الأدب والنقد في كلية البنات الأزهرية بالفيوم

جامعة الأزهر الشريف ـ جمهورية مصر العربية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار يونيه ٢٠٢٥م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٥/٦٩٤٠م

# لامية المُزَرِّد بن ضِرَار "مفردات البيئة وجماليات الفن"

**محمود فؤاد أحمد محمد**

قسم الأدب والنقد في كلية البنات الأزهرية بالفيوم ـ جامعة الأزهر الشريف ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : mohmoudfoud.2040@azhar.edu.eg

**الملخص** :

يتناول هذا البحث بالدراسة مفردات البيئة الجاهلية، وكيف تناولها المزرد بن ضرار في لاميته، مبرزًا عناصر البيئة وعلاقتها بنفسيته وطبيعته، وقد حاولت الدراسة الكشف عن مفهوم البيئة، ونبذة عن حياة الشاعر وإبراز الجماليات الفنية لمفردات البيئة في لامية المُزَرِّد بن ضِرار .

منهج البحث : يقوم هذا البحث على المنهج التاريخي في إظهار تاريخ حياة الشاعر، والمنهج التحليلي الوصفي، بغية الوقوف من خلال المنهجين المذكورين على مفردات البيئة، وعلاقتها بنفسية الشاعر مع بيان الأبعاد الجمالية لهذا اللون الشعري .

وجاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين متبوعين بخاتمة، المبحث الأول: ويشمل مفردات البيئة في لامية المزرد بن ضرار، والمبحث الثاني : يشمل جماليات الفن في لامية المزرد بن ضرار، الخاتمة وفيها نتائج البحث .

ومن نتائج البحث :

١-الحضور البارز للمفردات البيئية في شعر المُزَرِّد بن ضِرار، فقد كشفت الدراسة عن حضور كثيف للمفردات البيئية في النتاج الشعري له ، مؤكدة دورها الرئيس في تشكيل البنية الجمالية الداخلية للنص.

٢- إظهار صورة الصحراء وما فيها من مفردات بيئية تدل على أهميتها في شعر شعراء الجاهليين وبخاصة المزرد بن ضرار .

**الكلمات المفتاحية**: لامية المزرد بن ضرار – مفردات البيئة – جماليات الفن .

# Al-Muzardid ibn Dirar's Lamiyat: Environmental Vocabulary and Artistic Aesthetics

**Mahmoud Fouad Ahmed Mohamed**
**Department of Literature and Criticism - Al-Azhar Girls College in Fayoum - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt.**
**Email: mohmoudfoud.2040@azhar.edu.eg**

**Abstract**

**This research examines the vocabulary of the pre-Islamic environment and how Al-Muzardid ibn Dirar addressed it in his Lamiyat, highlighting the elements of the environment and their relationship to his psychology and nature. The study attempts to uncover the concept of the environment, provide a brief overview of the poet's life, and highlight the artistic aesthetics of the environmental vocabulary in Al-Muzardid ibn Dirar's Lamiyat.**

**Research Methodology: This research relies on the historical approach to reveal the poet's life story, and the descriptive analytical approach, with the aim of examining, through both aforementioned approaches, the vocabulary of the environment and its relationship to the poet's psychology, while demonstrating the aesthetic dimensions of this poetic genre.**

**This research consists of an introduction, a preface, and two chapters, followed by a conclusion. The first chapter covers environmental vocabulary in Al-Muzrad ibn Dirar's Lamiyat. The second chapter covers the aesthetics of art in Al-Muzrad ibn Dirar's Lamiyat. The conclusion includes the research findings.**

**Among the research findings are:**

**١. The prominent presence of environmental vocabulary in Al-Muzrad ibn Dirar's poetry. The study revealed a heavy presence of environmental vocabulary in his poetic output, emphasizing its central role in shaping the internal aesthetic structure of the text.**

**٢. The image of the desert and its environmental vocabulary demonstrates its importance in the poetry of pre-Islamic poets, especially Al-Muzrad ibn Dirar.**

**Keywords: Al-Muzrad ibn Dirar's Lamiyat - Environmental vocabulary - Art aesthetics.**

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (ﷺ) وعلى آله وصحبه ومن والاه ... وبعد :

فقد كانت حياة العرب في العصر الجاهلي تأخذ في أغلب طابعها حياة البداوة، فالحِل والترحال ديدن هؤلاء العرب في صحرائهم الواسعة، والمتتبع لحياة الشعراء الجاهليين يجد أن كثيرًا منهم قد شكلت البيئة الصحراوية والبدوية حياتهم، وعانقت مشاعرهم، ومنحتهم حرية التصوير والتعبير، فلم يعرفوا الاستقرار في مكان معين فكان لذلك صدى في أشعارهم ومن هؤلاء شاعرنا المُزَرِّد بن ضرار الذي تفاعل مع مفردات البيئة، وعبر عنها وانطلق في تناولها عاكسًا تشكيل هذه المفردات على نفسيته، فظهرت في ألفاظه ومعانيه وصوره الفنية .

**وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أمور من أبرزها :**

١ – الكشف عن التفاعل العميق بين الشاعر، ومفردات بيئته ردًا على من يقول أن الشاعر الجاهلي وقف عند الحدود الخارجية لمفردات البيئة، ولم يكن لها تفاعل وتأثير نفسي ودلالي.

٢–بيان العلاقة بين تجربة الشاعر وبيئته، وانعكاس ذلك في مواقفه الشعرية.

٣– تقديم رؤية تحليلية لمكانة البيئة في التشكيل الإبداعي عند الشاعر الجاهلي من خلال المُزَرِّد بن ضرار .

**أسئلة البحث :**

١ – كيف تسهم مفردات النص الشعري في الكشف عن البيئة التي نشأ فيه الشاعر، وأثرها في شخصيته ودوافعه النفسية؟

٢ – ما المفهوم الدقيق للمفردات ذات الدلالة البيئية في الشعر؟

٣ – ما العلاقة بين البيئة المحيطة بالنص الشعري وأثرها على صياغة الشاعر لنصه الإبداعي؟

٤-ما أبرز السمات الجمالية والفنية التي تميز لامية المُزَرِّد بن ضِرَار؟

**هدف البحث :**

معرفة مدى تأثير مفردات البيئة على القصيدة، ومدى أهمية البيئة عند الشعراء .

**حدود البحث:**

لامية المزرد بن ضرار" هي المفضلية السابعة عشرة في "المفضليات" [بتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون] وعدتها ٧٤ بيتًا، وتشغل الصفحات ٩٣- ١٠٢، وهي - من ثم - في "شرح أبي محمد القاسم بن محمد الأنباري (المتوفى ٣٠٤هـ)، وفي شرح المرزوقي، وفي شرح الخطيب التبريزي، ووردت في منتهى الطلب لابن ميمون. كما وردت في "ديوان المزرد بن ضرار (برواية ابن السكيت وغيره وشرح ثعلب)"، عني بتحقيقه، خليل إبراهيم العطية ،قدم له العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي، مطبعة أسعد -بغداد ط،أولي ، ١٩٦٢ ،و أن محقق الديوان لم يرقم الأبيات، ولم يميزها طباعيًّا عما يسبقها ويليها من الشرح، وربما يرد في أثناء الشرح شواهد شعرية، فلا تميز أبيات الشواهد عن أبيات القصيدة، وهذا تقصير من المحقق،أما باقي الروايات جاءت الأبيات متتالية متتابعة يسهل على القارئ حصرها وفهمها.

**منهج البحث :**

يقوم هذا البحث على المنهج التاريخي في إظهار تاريخ حياة الشاعر، والمنهج التحليلي الوصفي، بغية الوقوف من خلال المنهجين المذكورين على مفردات البيئة، وعلاقتها بنفسية الشاعر مع بيان الأبعاد الجمالية لهذا اللون الشعري.

**الدراسات السابقة:**

دراسة توماس باور "قصيدة مزرد بن ضرار اللامية"، وقد عرَّبها وعلَّق عليها وذكر الشواهد الشعرية التي أشار إليها باور: محمد فؤاد نعناع، ونشرت في دورية "جذور" التي يصدرها النادي الأدبي الثقافي بجدة، ع١٠، س٥، رجب

١٤٢٣هـ/ سبتمبر ٢٠٠٢م، ص٢٧٧-٣١١. ومحور دراسة باور بيان احتذاء ومعارضة المزرد قصيدة زهير (صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله)، وقصيدة أوس بن حجر (صحا قلبه عن سكره فتأملا).

**خطة البحث :**

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى : مقدمة وتمهيد، ومبحثين متبوعين بخاتمة وبيان بالمصادر والمراجع .

**في المقدمة** : أشرت إلى أهمية الدراسة ،والدافع إليها ،وأسئلتها ،وهدفها، ومنهجها، وخطة البحث.

**أما التمهيد** : فقد بينت فيه مفردات العنوان ( الشاعر – القصيدة – البيئة) .

**المبحث الأول** : مفردات البيئة في لامية المُزَرِّد بن ضِرار وفيه : الصحراء وما يتصل بها – الخيل – الأسلحة وأدوات الحرب – الحيوانات – الطيور–تطبيع الإنسان .

**المبحث الثاني** : جماليات الفن في لامية المزرد بن ضرار، ويشتمل على : الألفاظ والأساليب وعلاقتها بمفردات البيئة، الصورة الشعرية وعلاقتها بمفردات البيئة – الموسيقى وعلاقتها بمفردات البيئة.

**الخاتمة** : وتحوي أهم ما توصل إليه البحث .

**قائمة المصادر والمراجع .**

## ✍ التمهيد

**أولاً - مفهوم البيئة** :

البيئة لغة : جاء في لسان العرب تبوأ غلاف منزلها أي اتخذه وبوأته منزلاً، والبيئة والباءة والمباءة : المنزل، وقيل منزل القوم، حيث يتبوؤون من قبل واد، أو سندًا أو جبل، وفي الصحاح : المباءة منزل القوم في كل موضوع ويقال كل منزل ينزله القوم (١).

يتضح مما سبق أن البيئة هي المكان الذي يعيش فيه الإنسان ،ولذلك فإن مفهومها يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمحل إقامته.

مفهوم البيئة اصطلاحًا : هي "كل ما يحيط بالإنسان من ظواهر حية وغير حية، وليس للإنسان دخل في وجودها، وتتمثل هذه الظواهر أو المعطيات البيئية في بنية التضاريس، والمناخ، والنبات الطبيعي ،والحيوانات ،وبهذا فهي تمثل العناصر المادية التي يستمد منها الإنسان متطلبات معيشته وتختلف من منطقة لأخرى تبعًا لتباين العناصر المكونة لها ، فالسهول لها مكوناتها التي تجعلها بيئة طبيعية متميزة عن الصحراء" (٢).

**أثر البيئة على الإنسان وحياته :**

أشار ابن خلدون في مقدمته عن أثر البيئة على الإنسان، "وذكر أن الهواء (البيئة) المحيط به في إشارة للمناخ تجعل من الإنسان مختلفاً في طبائعه، وذلك باختلاف الأقاليم الجغرافية، ولما كان السودان في الإقليم الحار استولى الحر على أمزجتهم وفي أصل تكوينهم، كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وإقليمهم، فتكون أرواحهم بالقياس إلى أرواح أهل الإقليم الرابع أشد حرًا، فتكون

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، المحقق،عبد الله علي الكبير،محمد أحمد حسب الله،هاشم محمد الشاذلي،٣٨٢/١ ،دار المعارف مصر القاهرة.

(٢) سوسولجيا البيئة، زينب محمد عبد الكريم، ص ٢٢ منشورات جامعة بنغازي ليبيا .

أكثر تفتيشا ، وتكون أسرع فرحًا وسرورًا وأكثر انبساطًا، ويجيء الطيش على أثر هذه، ويقصد ابن خلدون بإقليم السودان عموم القارة الإفريقية اليوم"(١).

فالإنسان جزء من البيئة لا ينفصل عنها، فهي تؤثر عليه في كل جوانب حياته وصحته وطريقة تفكيره، فالبيئة ليست مكانا فقط، بل نظام يحيط بالإنسان من العوامل الطبيعية والاجتماعية التي تتحدد نمط حياته فالبيئة هي النظام المتكامل الذي يحيط بالكائنات الحية، ويؤثر في نموها وتفاعلاتها .

**ثانيًا – وقفة مع الشاعر والقصيدة :**

المُزَرِّد بن ضرار : هو مزرد بن ضرار أو المُزَرِّد بن ضِرَار أحد الشعراء الجاهليين الذين أدركوا الإسلام، فأسلم، وهو أخو الشماخ الشاعر المعروف، وكان لمُزَرد والشماخ أخ ثالث يسمى (جَزْء ) والثلاثة شعراء أشهرهم الشماخ، ثم يأتي بعده المزرد، وهو قريب من الشماخ في شعره، والمُزَرِّد لقبه الذي غلب عليه، واسمه : يزيد بن أبي ضرار بن حرملة بن سنان المازني الغطفاني ويكنى أبا ضرار، ويقال أبا الحسن، ولُقب مُزردا لقوله في زُبدة الرِّق:

**فجاءت بها صفراء ذات أسرة ∴ تكاد عليها ربة النِّحي تُكمِد**

**فقلت تزردها عُبيد فأنني ∴ لِدُرْد الشيوخ في السنين مزرد(٢)**

والزرد كما تشير المعاجم من معانيه الابتلاع، فزردته أزرده زردًا، وزردانًا بمعنى بلعت وازرده زردًا ابتلعه (٣).

---

(١) مقدمة ابن خلدون، تحقيق : حامد أحمد الطاهر ص ١١٨، القاهرة، مصر، دار الفجر للتراث، ٢٠٠٤م.

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، ١٣٢/١، قرأه وشرحه د. محمود محمد شاكر، ط دار المدني ١٩٧٤م، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٣١٥/١، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث بالقاهرة ١٩٩٦م، والبيان والتبيين للجاحظ ٣٤/٤، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ١٩٩٨م،، ومعجم الشعراء للمرزباني، تحقيق عبد الستار محمد فراج، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة العدد (٩٣) سنة ٢٠٠٣م.

(٣) ينظر :لسان العرب لابن منظور مادة (زرد) .

"وكان هجاءً، خبيث اللسان، حلف لا ينزل به ضيف إلا هجاه، والبيت المشهور هو الذي سمي بسببه مزردًا، فمن الشعراء من يغلب عليه شيء قاله في شعره على اسمه وكنيته فسمي به"(١).

**القصيدة :**

هي اللامية المفضلية التي تدور حولها الدراسة، ويتردد وجودها وصداها في بعض من المصادر التراثية،وعدد أبياتها(أربعة وسبعون بيتا)، وفي بعض أبياتها يشار إلى الحديث عن الشاعر ومكانته، وفيها أوصاف للخيل والأسلحة بأنواعها، والحيوانات والطيور، ووصف المرأة المحبوبة، فمثل هذه القصائد تعد من السمات المميزة التي تذكر مفاخر العرب ومآثرهم، فَتُعلي شأن صاحبها، وتظهر مكانة قبيلته ف" ما سَجل مفاخر القبائل العربية في الجاهلية إلا شعراؤها، ولا نالت قبيلة من عدوها بمثل ما كانت تنال بهذا السلاح الباتر المُصمى" (٢)، ويقصد بالسلاح الشعر .

وتشير بعض المرويات إلى أن المفضلية ليست لمزَّرِد بن ضِرار ولكن تنسب إلى أخيه، وجاء ذلك في شرح المفضليات لأبي محمد الأنباري قائلاً : "قال أبو عمرو الشيباني وجميع شيوخنا إن هذه القصيدة لجزء بن ضرار أخي الشماخ"(٣).

نقول : إن المرويات تشير إلى نسبتها لمزرد، صحيحة ولم يشذ عن ذلك سوى الأنباري، فالمرزوقي نسبها إلى المزرد صراحة من قبل أن يتناول القصيدة

---

(١) معجم الشعراء ص ٢٨٣، البيان والتبيين ٣٧٤/١.

(٢) قيم جديد للأدب العربي القديم والمعاصر، د / بنت الشاطئ، ص ٢٩، ط ،دار المعارف .

(٣) شرح المفضليات للمفضل الضبي ،المؤلف أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، المحقق كارلوس يعقوب لايل ،١٦٠/١،مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٣٠.

بالشرح والتفصيل " وقال أيضًا : وهي تجمع فنونًا من المعاني لا يشتق غباره فيها"(١).

وفي الوساطة للقاضي الجرجاني الذي يروي عن الأصمعي، ما أنشده لمُزرد "ثلاثة أبيات استحسنهم في وصف الدروع ثم علق عليهم"(٢).

وصاحب منتهى الطلب يذكر نسبتها صحيحة إلى مُزَرِّد في قوله "وقال مزرد أيضًا وهي مفضلية، وقرأتها في جملة من المفضليات على شيخي ابن الخشاب"(٣).

إذا القصيدة لمزرد وليس لجزء، وربما هذا التوهم الذي وقع فيه من قال : إنها لجزء، مرده أن مزردًا، وجزءًا أخوان شقيقان شاعران، خلط بعض الرواة شعرهما ببعض .

(١) شرح المفضليات للمرزوقي، تحقيق ودراسة لغوية، أنور أحمد أحمد بدوي ٢٥٦/٢ – قسم التحقيق – رسالة ماجستير – قسم اللغة العربية كلية التربية جامعة عين شمس ٢٠٠٣م.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي ص ٤٣٥، ومنشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت (د.ت) .

(٣) منتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون ٢٤٩/٢.

## ✍ المبحث الأول

## مفردات البيئة في لامية المزَرِّد بن ضرار

يعد الشعر الجاهلي وثيقة جمالية وتاريخية وفكرية وجغرافيـــة، فـــإذا أراد الأديب أو الشاعر أن يعبر عن أمر طرأ في ذهنه لجأ إلى بيئته، وملأ من عينها ما أسعفته مخيلته وقدرته، فالشعر يعد المادة الأولى لدراسة البيئة، وتحدث ابن ســـلام الجمحي عن أثر البيئة الطبيعية، فجعل المكان أحد مقاييسه النقدية فـــي تصـــنيف الشعراء وفي التفاضل بينهم فكان أول مؤسس للمنهج البيئي، ومن خـــلال حديثـــه الذي أفرد فيه طبقة خاصة سماها شعراء القرى العربية، وضمت شعراء المدينـــة ومكة والطائف والبحرين واليمامة[١]، وقد مارس الشعراء نزوحهم للبيئة قولا وفعلا فكان الفرزدق " إذا صعب عليه صنعة الشعر ركب ناقته، وطاف خاليًا وحده فـــي شعاب الجبال وبطون الأودية، والأماكن الخربة فيعطيه الكـــلام قيـــاده"[٢] وكـــان الشعراء ينزحون مع أهلهم وعشيرتهم من مكان لآخر، ويستقرون ببعض الأمـــاكن التي بها مقومات الحياة، فيعمدون إلى تصوير مشاهدهم للبيئة الصامتة والمتحركة .

### ( أ ) الصحراء وما يتصل بها :

تعد الصحراء الوطن الكبير للعربي القديم فيتنقل بين جنباتها، وهضـــابها، وأطلالها البالية ويكشف ما فيها من نبات وأشجار، فرسم الشعراء لنا مظاهر البيئة الصحراوية في أجل وأجمل صورهم الشعرية، والتي تشهد بحفر هـــذه المشـــاهد والمؤثرات في أنفسهم ووجدانهم ،والمُزَرِّد بن ضرار عاش فـــي هـــذه الصـــحراء وتقلب في أكنافها، فكان لهذه المشاهد التي رآها في بيئته أثـــر فـــي موضـــوعاته الشعرية فقد ذكر الجبال والنبات والجنادل والمطر وحيوانات الصـــحراء ومشـــاهد الصيد، والقنص والحرب، فها هو ذا يكشف المزرد عـــن خبرتـــه الكبيـــرة فـــي

---

(١) ينظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢١٥/١.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، المحقق محمد محـــي الدين عبد الحميد، ٢٠٧/١، ط – الخامسة ١٠٤١هـ – ١٩٨١م.

الصحراء ومسالكها، ويشير إلى حالته النفسية المضطربة عندما نظر إلى نفسه ورأسه وقد ملأها الشيب، والشعر الأبيض فيقول: (١)

**فُؤَادِيَ حتَّى طارَ غَيَّ شَبِيبَتِي ∴ وحتَّى عَلَا وَخْطٌ من الشَّيبِ شامِلُ**

**يُقَتِّئُهُ ماءُ اليُرَنَّاعِ تحتَهُ ∴ شَكِيرٌ كأَطْرَافِ الثَّغَامَةِ ناصِلُ(٢)**

**فلا مَرْحباً بالشَّيب مِن وَفْدِ زَائرٍ ∴ متَى يَأْتِ لا تُحْجَبْ عليه المَدَاخِلُ**

تكشف هذه الأبيات حالة الشاعر النفسية وبكاءه على شبابه الذي ولى، فنراه يذم الشيب ويتحسر على شبابه، فقد انتشر في رأسه الشعر الأبيض، فأخذ يخفيه بالحناء، لعلها تحد من آثار انتشاره، فاحمر ظاهره وبقي البياض في أسفله، فلم تستطع الحناء أن تخفي ملامح الشيب تمامًا، فهو رسول الموت فلذلك لم يُظهر الشاعر وده وحبه لبياض شعره، وجاءت مفردات البيئة عند الشاعر في قوله ( الثغامة) وهو نبات أبيض الثمر والزهور فكان وجه الشبه بين الشَعر، وهذا النبات ممثلاً خير تمثيل لمفردات بيئته .

وبعد أن نبذ الشاعر الشيب وأخذ في ذمه، ذهب يمدح شبابه فيتذكر أيامه مع محبوبته فراح يصف مشيتها، ويربطها ببيئته قائلاً : (٣)

**وتَخْطُو على بَرْدِيَّتَيْنِ غَذَاهُمَا ∴ نَمِيرُ المِياهِ والعُيونُ الغَلَاغِلُ (٤)**

---

(١) ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني ،برواية ابن السكيت وغيره وشرح ثعلب، عني بتحقيقه، خليل إبراهيم العطية ،قدم له العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي، ص٣٢،٣٣، مطبعة أسعد –بغداد ط،أولي ، ١٩٦٢م والأبيات من بحر الطويل.

(٢) يقنئه : يجعله أحمر قانئا، لسان العرب (مادة ق نء)، اليرناء : الحناء – السابق (مادة رنء)– الشكير : أول ما ينبت من الشعر – شرح المفضليات للأنباري ١٦٠/١، الثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر، لسان العرب مادة (ثغم)، ناصل : خرج منه نصله، أي خرج من خضابه، السابق (مادة نصل).

(٣) الديوان ،ص٣٤.

(٤) البردى : نبت ناعم، شبه ساقيها ببر ديتين في بياضهما وصفائهما واستوائهما، من لينهما ونعومتهما، ينظر شرح المفضليات ١٦٣/١– الماء النمير : الذي ينمو به كل شيء، لسان العرب (مادة نّمِرُ)، الغلاغل : الماء الذي جري بين الشجر، شرح المفضليات للمفضل الضبي،الأنباري ،١٦٢/١ .

يوضح البيت السابق حل وترحال المزرد بن ضرار في الصحراء الواسعة، فكثرة سيره فيها تدل على رؤيته لمفردات البيئة المحيطة به، فراح الشاعر يخرج من حزنه وبؤسه إلى تذكره لأيام صباه، فيصف محبوبته أنها تمشي على ساقين ناعمتين يشبهان في بياضهما ولينهما نبات البردي الناعم الذي تغذي من الماء العذب المنساب بين الأشجار، فيظهر في هذا البيت أن الشاعر قد ربط جمال محبوبته بجمال الطبيعة، ومفردات البيئة فالمرأة جزء من هذه البيئة التي هي حياة الشاعر ومجال تفكيره .

ومن مفردات البيئة التي وردت في البيت قوله **(البردتين – الماء النمير – العيون الغلاغل)** .

ثم يتحدث عن الصحراء التي تتنوع فيها أنواع الرمال والصخور، فيقول في لاميته واصفاً أشكال الصحراء قائلاً : (١)

**وصُمُّ الحَوَامِي ما يُبالِي إذا جَرَى ∴ أَوَعْثُ نَقاً عَنَّتْ لهُ أَم جَنَادِلُ** (٢)

يكشف الشاعر في هذا البيت عن تكوين الصحراء، ففيها الحجارة والصخور القوية والكثبان الرملية والرمال الناعمة، فربط المُزَرِّد هذه المفردات بقوة الخيل وسرعتها فهي تقطع الصحراء حتى إذا دخل بها في مفاوز بعيدة كانت تقطعها بقوة حافرها وشدته .

وقد دل هذا البيت على ربط مفردات البيئة من خلال قوله **(الوعث – النقا – الجنادل )** ليظهر مدى ارتباط الشاعر بطبيعته وبيئته فإنه خبير بأمور الصحراء، وبيان قوة الخيل التي تحطم الصخور، وتدك الكثبان الرملية .

لقد منحته رحلاته المتواصلة في الصحراء معرفة عميقة بمسالكها ودروبها، وما تحويه من هضاب وتكوينات جبلية ، لذلك تمكن المُزَرِد بن ضِرار

---

(١) الديوان ، ص٣٩ .

(٢) الوعث : كل لين سهل لين بكثير الرمل، لسان العرب (مادة وع ث)، النقا : مثل الكثيب من الرمل، السابق مادة(نقا)، الجنادل : الحجارة والصخور، السابق مادة (جندل).

من رسم لوحة فنية بديعة للخيل المتعبة المرهقة من طول المسير، مستخدمًا مفردات بيئته الصحراوية لربطها بهذا المشهد البديع ، قائلاً : (١)

**إذَا الخَيلُ مِن غِبِّ الوَجِيفِ رأَيتَها ∴ وأَعيُنُها مثلَ القِلَاتِ حَوَاجِلُ**(٢)

يوضح البيت كيف جسد الشاعر حالة الخيل عندما داهمها التعب بعد السير الشديد، فرجع الشاعر إلى مفردات بيئته، فشبه أعينها الغائرة بنقرات تكون في الجبل يجتمع فيها الماء، فهذا البيت يشخص فيه صورة الخيل المنهكة من السير خير تمثيل، ويدل على مقدرة الشاعر في استخدام لغة تمثل بيئته، وطبيعة حياته التي درج عليها، فالشاعر ابن لبيئته ،وثمرة ناضجة من ثمارها .

والصحراء فضاء واسع ممتد يحتاج في قطعها إلى قوة وصبر، وفرس قوي فيربط ذلك بيئته التي عاش فيها، ففرسه تحب الجري الشديد والمتواصل فعن ذلك يقول: (٣)

**مِنَ المُسْبَطِرّاتِ الجِيادِ طِمِرَّةٌ ∴ لَجُوجٌ هَوَاها السَّبْسَبُ المُتَمَاحِلُ**(٤)

يصف الشاعر فرسه فهي من الخيول الأصيلة السريعة شديدة القوة والوثب والاندفاع، وتحب الجري في الصحراء الواسعة التي لا حدود لها، فاتخذ الشاعر من مفردات بيئته وخبرته في الصحراء مكانًا واسعًا يحبه فرسه، فجاءت بعض الألفاظ

---

(١) الديوان ، ص ٣٨ .

(٢) الوجيف : سير شديد دون العدو ، لسان العرب مادة (وجف)، القلات : جمع قلت بفتح فسكون، وهي نقر تكون في الجبل يجتمع فيها الماء السابق مادة(قلت)، حواجل : غائرة العيون ، السابق مادة(حَجَلَتْ).

(٣) الديوان ص٤٠.

(٤) المسبطرة: المنقادة في السير السريعة ينظر : لسان العرب مادة(سبطر)، طمرة : الوثابة ، ينظر السابق (مادة طمر)، لجوج : تترامى في العنان . ينظر السابق مادة (لجج)، السبسب : المتسع من الأرض ،ينظر السابق ،مادة (سبسب)،المتماحل : البعيد ما بين الطرفين السابق (مادة المَحْلُ).

في هذا البيت ودلت على الصورة البيئية التي رسمها الشاعر أمام المتلقي لفرسه القوي، وحبه للأماكن الرحبة وهذه الألفاظ هي **(طمرة – سبسب – متحامل )** .

وما يتصل بالصحراء وما يعيش فيها من حيوانات، فيذكر لنا الذئب، والحمير، فيكشف لنا صفة من صفات الخيل، وهي واقفة مثلها مثل الذئب في العلو والارتفاع، فمن ذلك قوله : (١)

**تقولُ إذا استقبلته وهْوَ صائمٌ ∴ خِبَاءٌ على نَشْزٍ أَوِ السِّيدُ ماثِلُ**

ثم يكشف عن قوة هذه الخيل فإنه لا يبقى أمامها أحد، حتى إذا قابلها قطيع من الحمير فتك بها وجعلها ملقاة على الأرض فيقول : (٢)

**مُبرِّزُ غاياتٍ وإنْ يَتْلُ عانَةٍ ∴ يَذَرْها كَذَوْدٍ عاثَ فِيها مُخَايِلُ**

وللكلاب دور مهم في لاميته ،وهم من مفردات البيئة الصحراوية البدوية، فيتحدث عن أسماء الكلاب، ودورها في هذه الحياة قائلاً: (٣)

**سُحَامٌ ومِقْلَاءُ القَنِيصِ وسَلْهَبٌ ∴ وجَدْلاءُ والسِّرْحانُ والمُتَناوِلُ**

**بناتُ سَلُوقِيَّيْنِ كانَا حَياتَهُ ∴ فَماتَا فأَوْدَى شَخْصُهُ فَهْوَ خامِلُ**

يكشف الشاعر في البيتين السابقين عن مدى أهمية الكلاب في هذه البيئة فقد جمع الشاعر ستة كلاب في بيت واحد، ولعل هذا الأمر يعد ابتكارا من الشاعر، فهذه الكلاب تستخدم للصيد والقنص وجلب الطعام، ولكن كلاب الصائد هذا كانت غير مجدية النفع له، فلم تساعده في الصيد ،ورجع لأهله خائبًا خالي الوفاض.

ومن مظاهر مفردات البيئة عنده ذكر أسماء بعض الطيور، ومنها الباز القانص، وهو الصقر المُعد للصيد ،فربطه ببيئته في معرض حديثه عن استعداد فرسه وتهيؤها للحرب، وأيضًا استعداد هذا الباز للصيد قائلاً (٤):

---

(١) الديوان ص٣٦ ، وردت كلمة أبصرته في الروايات الأخرى، واستقبلته في الديوان .

(٢) الديوان ص٣٧.

(٣) الديوان ص٤٧ .

(٤) الديوان ،ص٣٦ .

**متي يُرَ مَرْكُوباً يُقَلْ بازُ قانِصٍ ∴ وفي مَشْيِهِ عندَ القِيَادِ تَسَاتُلُ**

وأيضًا حديثه عن القطاة ،وهي صغيرة اليمام فيكشف عن حالها عند مطاردة الصقور لها فهي أشد سرعة وطيرانًا، فربط بين صورة الفرس، و القطاة في السرعة قائلاً (١):

**وإنْ رُدَّ مِنْ فَضْلِ العِنَان تَوَرَّدَتْ ∴ هَوِيَّ قَطَاةٍ أَتْبَعَتْها الأَجادِلُ**

يتناول الشاعر وصف القطاة (صغير اليمام)مصورًا سرعتها الفائقة، وقدرتها علي التحليق عندما تلاحقها الصقور، فالشاعر هنا يربط بذكاء حاد ملحوظ بين صورة فرسه وبين قوة القطاة في السرعة ؛ليخلق للسامعين مقارنة لافتة ذات مغزى فني حيوي.

**الخيل في شعر المُزَرِّد بن ضِرار :**

للخيل في حياة الجاهليين مكانة عالية ،فليست أقل مكانة من الناقة في الأهمية فلا يمكن التنقل بين أرجاء الصحراء إلا على ظهر الناقة أو الفرس فهما الركوبة والرفيقة والأنيسة في السير والسرى (٢) .

ولقد أضفى الشعراء على حيواناتهم النشاط والهمة والقوة ،وصوروها صورًا تنبض بالحياة، فعمدوا إلى وصف أعضائها وبيان شكلها، للدلالة على قوتها وتحملها، وصبرها على قطع المفاوز في الصحراء الشاسعة ،وفروسية العربي مظهر مهم من أشكال الحياة العربية والفخر بها يعد من أهم عادات كل فارس قوي قدير، فيمثل شعر وصف الخيل تراثًا شعريًا غزيرًا، حيث نعتت الخيل بنعوت كثيرة ف" توصف بالسرعة في جميع حالاتها إذا حُركت، وإن لم تحرك فتشبه بالكوكب، والبرق، والحريق، والريح، والغيث، والسيل، وانفجار الماء في الحوض، والدلو ينقطع رشاؤها ويد السابح، وغليان المرجل والقمقم، وبأنواع الطير، كالبازي

---

(١) الديوان ص٤١ .

(٢) ينظر: التجديد في وصف الطبيعة بين أبي تمام والمتنبي، ص ١٠٥، د/ نسيمة الغيث ،ط أولى ١٩٨٨م.

والسّوذنيق، والأجدل ،والقطامي، والعقاب، والقطا والحمام، وأنواع الوحش، كالوعل والظبي والذئب، والتتفل، وتشبه بالخذروف، ولمعان الثوب، وبالسهم وبالريح ". [١] .

ولقد اهتم المزرد بن ضرار بإظهار صورة الخيل في مواقف عدة تدل على ما يهواه فيها من صفات وقوة ونشاط .

فمن الصفات التي ركز عليها في الخيل من الناحية الشكلية قوله : [٢]

**طُوَالُ القَرَا قدْ كادَ يَذهَبُ كَاهِلاً ∴ جَوَادُ المَدَى والعَقْبِ والخَلْقُ كامِلُ**[٣]

يركز الشاعر على شكل الخيل فهي غليظة طويلة قوية سريعة واسعة الجبهة والوجه، كاملة الخَلق .

ثم ينتقل الشاعر إلى الصورة الصوتية فيبين صهيل الخيل، وحالة ركوبه ومشيته وهيئته، عند وقوفه فيقول : [٤]

**أَجَشُّ صَرِيحيٌّ كأَنَّ صَهيلَهُ ∴ مَزَامِيرُ شَرْب جاوَبَتْها جلاجل** [٥]

**متي يُرَ مَرْكُوباً يُقَلْ بازُ قانِصٍ ∴ وفي مَشْيِهِ عندَ القِيَادِ تَسَاتُلُ** [٦]

---

(١) الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق علي محمد البجاوي، محمد الفضل إبراهيم ٨٠/١ ،ط المكتبة العصرية بيروت ١٤١٩هـ.

(٢) الديوان ص٣٥ .

(٣) طوال: فوق الطويل، مفرد بضم الطاء، يصف به جواده طويل القامة . ينظر : لسان العرب (مادة طال)، القرا : موثقة الظهر، السابق(مادة قَرا)، كاهلاً : يريد أنه عريض من قبل كاهله، ينظر: السابق (مادة كاهل)، جواد المدى : يجود بجريه إلى المدى وهو غاية السبق . ينظر : السابق (مادة مَدَى)، العقب : جري بعد الجري الأول ينظر: السابق، (مادة عاقَبَ).

(٤) الديوان ،ص ٣٥،٣٦ ،ووردت كلمة استقبلته في الديوان، وأبصرته في المفضليات ومنتهى الطلب .

(٥) أجش : خشن الصوت وشديده ينظر : لسان العرب (مادة جَشَش)، صريحي : منسوب إلى فحل يدعى الصريح، وهو من خيل العرب . ينظر : السابق (مادة صرح).

(٦) باز قانص : ضرب من الصقور، وخصه بالذكر لأنه أضرى من غيره من البيزان، ينظر : لسان العرب (مادة بزا)، تساتل : تتابع . ينظر : شرح المفضليات ١٦٥/١.

**تقولُ إذا استقبلته وهْوَ صائمٌ ∴ خِبَاءٌ على نَشْزٍ أَوِ السِّيدُ ماثِلُ** (١)

في هذه الأبيات يؤكد الشاعر على أصالة الخيل، فهي عربية صريحة النسب، معروفة، ففي البداية يشبه صوتها بالمزمار في قوته ووضوحه، وهذا مما يستحب في الخيل الأصيلة، وأكد المعنى قوله (أجش) الصوت التي افتتح بها بيته، ثم ينتقل إلى صورة بيئية أخرى فيخبرنا عن قوتها حين يركبها فيشبهها بصقر قوي يقف على يد الصائد، وقد تحفز الصقر لرؤيته صيدًا ظهر له، فربط الشاعر بين تحفيز الخيل واستعدادها للجري وتهيوأ واستعداد الباز للتحليق والانقضاض على الفريسة، فذلك يدل على قوة الخيل وسرعتها وخفتها، فهي والصقر سواء، ثم يكشف المزرد عن مفردة بيئية أخرى للخيل، وهي واقفة على مكان مرتفع، فيصورها بالذئب المنتصب، فيريد الشاعر أن يوضح لنا استعلاء فرسه، وغلظ مقدمته فيشبهه بحال الذئب الذي قل لحم عجزه، وفي مؤخرته دقة، وفي مقدمته غلظة، وواضح في الأبيات ذكر أفعال المضارعة التي تدل على الحركة المستمرة لهذا الفرس، ويظهر ذلك في قوله ( ير – يقل – تقول إذا استقبلته) ويظهر حسن استخدام الشاعر لصور المفردة البيئية، فيجعلنا وكأننا نعيش في قلب هذه الحياة، فينقلنا إلى صراع حقيقي "حتى ليبصر الإنسان بالمعركة ناشبة أمامه، ويكمل فيها معنى القص والتتبع حتى يخال للقارئ أو الشاعر قصاصًا بقدر ما أجاد في تصوير قوة الصائد وبطشه وعنف حركته وسرعته، أجاد في تصوير قوة فرسه وتحفيزها واستعدادها، مثل الصائد القوي، وهناك شيء آخر جدير بالتأمل هو التمثيل لبطش العقاب، وغريزة الفتك المركبة فيه، حتى إذا رأى فريسته هب وثارت في نفسه كل

---

(١) صائم : قائم أو واقف . ينظر : لسان العرب (مادة صَامَ)، النشز : المكان المرتفع . ينظر : السابق (مادة نَشَز)، السيد : الذئب . ينظر : السابق (مادة سيد)، الماثل : القائم . ينظر : السابق (مادة مَثُل).

معاني العدوان، ويقابله التمثيل بضعف الصيد وخوفه واضطرابه، واستسلامه لرحمة القدر، فهو فاقد الإرادة لا يبدي مقاومة ولا حركة " [١].

وتارة أخرى نجد المُزَرِّد بن ضرار يصور الخيل – عمومًا – فيكشف عن جسمها، بعد أن أتعبها السير، وأجهدها العدو، وظهرت عليها علامات الكلل، وهذا ما بينه في قوله:[٢]

**إِذَا الخَيلُ مِن غِبِّ الوَجِيفِ رأَيتَها ∴ وأَعيُنُهـا مثـلَ القِلَـاتِ حَوَاجِـلُ[٣]**

**وقَلْقَلْتُـهُ حتَّـى كـأَنَّ ضُـلوعَهُ ∴ سَفِيفُ حَصِيرٍ فَرَّجَتْـهُ الرَّوامِـلُ[٤]**

**يَرَى الشَّدَّ والتقريبَ نَذْراً إِذا عَـدَا ∴ وقد لَحِقَتْ بالصُّلْبِ منه الشَّـواكِلُ[٥]**

يركز الشاعر في الأبيات السابقة على شكل وهيئة الخيل عندما يداهمها الإنهاك والتعب بعد عدو وسير شديدين، فأصبحت عيناها غائرتين، فصورهما في غورهما بفتحات تكون داخل الجبل يجتمع بداخلها الماء، ثم يظهر الشاعر مفردة بيئية أخرى يربطها بالخيل فيتحدث عن جسمها الذي أصابه الإعياء، وانحصر عنه اللحم، فيصوره بصورة الحصر المنسوج المتسع بين أعواده وقد سرجته النواسج، فهذا مأخوذ من قلب بيئته التي عاش فيها فكان لزامًا على هذه الخيل بعد التعب والإعياء أن تتغير مشيتها فيكون العدو شدا وتقريبا ،وهما نوعان من أنواع السير،

---

(١) شعر الطبيعة في الأدب العربي د/ سيد نوفل،ص٥٨ ، القاهرة مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ،ط ١٩٤٥م.

(٢) الديوان ،ص ٣٨،٣٩ .

(٣) القلات : جمع قلت وهي نقر تكون في الجبل يجتمع فيها الماء لسان العرب (مادة قَلْت)

(٤) قلقلته : أذهبت لحمه من كثرة السير، شرح المفضليات ،١٦٧/١، سفيف الحصير : ما سف منه أي ينسج ينظر لسان العرب (مادة سفَّ)، فرجته : جعلت فيه الفرج . ينظر : السابق (مادة فَرَج).

(٥) الشد : العدو ، ينظر : لسان العرب (مادة شدّ)، التقريب : ضرب من العدو ، ينظر : السابق (مادة قَرَّبَ)، الشواكل : هي الخاصرة . ينظر : السابق، جمع شاكله .

فهذه الصورة تجسد حال بيئة الشاعر، وكيف وظف مفردات البيئة طيعة لغرضه عند وصف الخيل حين أنهكها التعب والإعياء، وظهرت عليها المشقة، فلا يتوقف بل يعدوا عدوا شديدًا مرة، وهينًا مرة أخرى، ولا يبالي بما يظهر له من تضاريس الصحراء من سهول وصخور، فهو يملك حوافر قوية تدمر هذه الصخور والرمال.

ثم يدلف بنا بعد ذلك إلى وصف هذه الفرس (الأنثى) في قوله: (١)

**سَلْهَبَةٌ جَرْداءُ باقٍ مَرِيسُهَا ∴ مُوَثَّقَةٌ مِثْلُ الهِرَاوَةِ حَائِلُ**(٢)

يبين الشاعر أوصاف فرسه والتي ربطها بمحيط بيئته فهي طويلة قصيرة الشعر محكمة الخلق، ويشبهها بالعصا في ضمورها ونحافتها، وشدتها، وهي أعدت للركوب والغزو وليس للنتاج والنسل، فيظهر للقارئ حسن استخدام مفردات البيئة في بيان صورة فرسه أمام المتلقين من خلال بعض ألفاظه **(الهراوة – جرداء – حائل)** حيث وضحت الصورة أن فرسه ليست ضعيفة هزيلة، بل عتاق قوية تشبه العصا في ضمورها، وذلك يدل على براعة الشاعر في تصويره لمشاهد البيئة المحيطة به .

ويقف الشاعر عند جوانب الجمال في فرسه، فيذكر لونه الأحمر الذي خالطه سواد، وليس بأشقر ولا أدهم فيقول : (٣)

---

(١) الديوان ،ص٤٠ .

(٢) السلهبة : الطويلة من الخيل، ينظر لسان العرب (مادة سلهب)، جرداء :ينظر قصيرة الشعر. ينظر : السابق (مادة جَرَدَ)، مريسها : شدتها وصبرها في السير ،شرح المفضليات للأنباري،١٦٩/١، موثقة : قوية محكمة الخلق ينظر : لسان العرب (مادة وَثُق)، الهراوة : العصا، فالخيل تشبه العصا . ينظر : السابق (مادة ه را)، حائل : الناقة التي لم تحمل فهو أصلب لها وأشد ينظر : السابق (مادة حال).

(٣) الديوان ،ص٤٠ .

**كُمَيْتٌ عَبَنَّاةُ السَّرَاةِ نَمَي بهَا ∴ إلى نَسبِ الخيلِ الصَّرِيحُ وجَافِلُ**(١)

يلحظ في البيت السابق أن الفرس كانت محل هواية للمزرد بن ضرار، ففرسه لها لون مميز، وهو سواد يخالطه حمرة ولون مرغوب فيه، فهذا يدل على الأصالة والجمال، وأيضًا سريعة قوية أصيلة لها نسب عريق لا يشوبه أي تهجين أو اختلاط .

ودلت بعض الألفاظ على الأصالة فاستخدم الشاعر كلمات **(عبناة – سراة –صريح – جاف)** ليبرز لنا صورة كاملة لفرسه الأصيلة التي تتمتع بالجمال والقوة، واستخدم بعض ألفاظ الموجودة في البيئة وهي الألوان في قوله (كميت) .

ولقد أسبغ الشعراء على فرسه صفات الحركة والنشاط، ومنهم المزرد بن ضرار الذي يصور أنثى الفرس قائلاً : (٢)

**صَفُوحٌ بِخَدَّيْها وقد طال جَرْيُها ∴ كما قَلَّبَ الكَفَّ الأَلَدُّ المُجَادِلُ**(٣)

يصف الشاعر فرسه وهي تجري بسرعة وقوة، وهي تنظر يمنة ويسرة، بحال شخص يجادل بقوة وحده فأخذ يقلب كفيه، ويحركهما بحماس أثناء اختصامه واحتجاجه، فربط الشاعر بين صورتين الصورة الحركية للإنسان، والصورة الحركية للحيوان، فالحركة الديناميكية التي تربط بين جري الفرس، وحركة المجادل كأنه يدفع صاحبه مما يعكس حيوية المشهد، ويؤكد على شدة وسرعة وقوة الفرس.

---

(١) كميت : ما لونه بين السواد والحمرة . ينظر : لسان العرب (مادة كمي)، عبناة : الموثقة الخلق الشديدة . ينظر : جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي ٣٦٧/١، دار العلم للملايين بيروت، ط أولى ١٩٨٧م، السراة : أعلى الظهر، ينظر : شرح المفضليات المفضل الضبي ، للأنباري ٨٥٨/١، الصريح وجافل : فحلان ينسب إليهما الخيل، وكانا لبني ذبيان نقله الصاغاني، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ١١١/١٤، دار الفكر بيروت، ط أولى ١٤١٤هـ .

(٢) الديوان، ص ٤١ .

(٣) صفوح بخديها : تنظر يمنة ويسرة من النشاط، ينظر : شرح المفضليات للأنباري ١٧٠/١، الألد : الشديد الخصومة : السابق ١٧٠/١.

ثم يتحدث عن فرسه التي كانت مطيته، فهي فرس الحرب، التي ينبغي أن تكون كذلك قائلاً: (١)

**يُفَرِّطُها عن كَبَّةِ الخيلِ مَصْدَقٌ ∴ كريمٌ وشَدٌّ ليس فيه تَخَاذُلُ**(٢)

**مُقَرَّبَةٌ لم تُقْتَعَدْ غَيْرَ غارَةٍ ∴ ولم تَمْتَرِ الأَطْبَاءَ منها السَّلائِلُ** (٣)

يكشف الشاعر في هذين البيتين أن فرسه من الخيل المعدة للغارات والحروب، فليست فرس زينة، بل فرس قتال، وهذا تأكيد على قوة الفرس، وأنها معدة للأعمال الجادة، وأيضًا يصف الشاعر فرسه بأنها متفوقة في سرعتها تسبق الخيل، وتنفرد بالصدارة، وذلك ليس صدفة بل نابع من قوتها وأصالتها، ويدل على ذلك قوله : (كريم، مصدق، السلائل، لم تقتعد، لم تمتر) كل هذه الصفات دلت على أن فرسه أصيلة سريعة نقية النسب، فأخذ المزرد هذه الصفات من مفردات بيئته وأسبغها على فرسه .

وبعد فقد كان حديث المزرد بن ضرار عن الخيل عموما وفرسه خصوصا، اللتين كانتا مجالاً لفخره، فقد وصفهما بالقوة والسرعة وكمال الخَلق، وبجودتهما في الإغارة في الحرب والسلم، فكشف الشاعر عن هيئتهما وشكلهما، مشبهًا لهما بما رآه وعاشه في بيئته فهي كالصقر تارة،والقطاة تارة أخري ، وأن فرسه لم تكن للإنجاب والتزاوج ،بل كانت فرس حرب عتاق، وكان لها أصل ونسب عريق وطيب، فاتخذ من هذه المعاني معادلاً موضوعيًا كفخره بنفسه وبقومه، فالخيل ترمز للكرامة والعز، والمجد العربي .

---

(١) الديوان ،ص٤١، ٤٢ .

(٢) يفرطها : يقدمها، ينظر: لسان العرب (مادة فرط). كبة الخيل : دفعتها في الجري : ينظر: شرح المفضليات للأنباري، ١/١٧١.

(٣) المقربة : المؤثرة المكرمة ينظر: شرح المفضليات، ١/١٧١. لم تمتر : لم ترضع وأصله المري، أن يمسح الضرع ليدر اللبن ينظر: السابق ١/١٧١، الأطباء : جمع طبي بضم فسكون، وهو من الفرس بمنزلة الثدي من المرأة ينظر: السابق ١/١٧١ السلائل : الأولاد. ينظر: السابق ١/١٧١.

**الأسلحة وأدوات الحرب**:

ينتقل بنا المُزرد بن ضرار إلى وصف الأسلحة بأنماطها المختلفة، فشعراء الجاهلية وصفوا أسلحتهم وبينوا ووضحوا أهميتها وأثرها في الحرب ،غير أنه لم نر شاعرا يفرد نصًا قصيرًا أو طويلاً لوصف سلاحه على الكيفية التي وصف فيها مزرد سلاحه، إنما هي أبيات متفرقات إلا أن أهم نص وقعت عليه هو نص "أوس بن حجر الذي أفرد فيه أبياتًا يصف فيها السلاح بأنواعه" [١] حيث وصف الرمح والدرع والسيف والنصل وأما من البيت رقم (١٧) وما بعده يتناول وصف الأقواس[٢] ، وهذا النوع من الأسلحة لم يتناوله المزرد في قصيدته، فوصف المزرد الدرع والخوذة والترس والسيف والرمح، فمن الصور اللافتة في هذه اللامية، صور الأسلحة التي جاءت متتابعة ومتواصلة دون انفصال، فنراه يُصَدِّر حديثه عن الدروع قائلاً: [٣]

**ومَسْفُوحَةٌ فَضْفَاضَةٌ تُبَّعِيَّةٌ ∴ أتاها القَتِيرُ تَجْتَوِيها المَعَابِلُ[٤]**

**دِلَاصٌ كظَهْرِ النُّونِ لا يَستطيعُها ∴ سِنَانٌ ولا تلكَ الحِظَاءُ الدَّوَاخِلُ[٥]**

**مُوَشَّحَةٌ بَيضاءُ حاب حَبِيكُها ∴ لهَا حَلَقٌ بَعْدَ الأنامل فاضل[٦]**

---

(١) ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح د / محمد يوسف نجم، ص ٨٣، ٨٤ ،دار صادر بيروت، ط ثالثة ١٩٧٩م.

(٢) ينظر : قصيدة مزرد بن ضرار اللامية ،محمد فؤاد نعناع ،مجلة جذور العدد رقم (١٠) ص٢٩١،السنة الخامسة، رجب ١٤٢٣هـ ،إصدار النادي الأدبي الثقافي بجدة .

(٣) الديوان ،ص٤٤،٤٣،وردت كلمة أتاها في الديوان، ووآها في الروايات الأخري، ،وحاب بدل من دان

(٤) مسفوحة : الدرع المصبوبة الواسعة ينظر: شرح المفضليات، للأنباري ١٧٣/١ القتير : مسامير الدروع ينظر: لسان العرب (مادة قتر)، المعابل : سهام طوال عراض النصال ينظر: السابق (مادة عبل).

(٥) دلاص : الدرع اللينة السهلة ينظر: لسان العرب (مادة دلص)، الحظاء : السهم الصغير الذي لا نصل له . ينظر: السابق (من الحظوة).

(٦) موشحة : فيها طرائق صفر أي نحاس شرح المفضليات للأنباري ١٧٤/١، حبيكها : الحبيك: الطرائق من النسج، واحدة حبيكة ينظر: السابق ١٧٣/١ .

**مشهرة تُحْنَــى الأَصــابِعُ نحوَهــا ∴ إذا جُمِعَتْ يومَ الحِفَــاظِ القَبائِــلُ**[١]

ترسم هذه الأبيات صورة دقيقة ومفصلة للسلاح ،ألا وهي الــدروع التــي تجمع بين قوتها ومتانتها، وجمالها وشهرتها فمن ناحية شكله، فهو درع طويل، له لون براق أخاذ، وأما عن صلابته فهو قوي لا يتأثر بضرب المبــارزين لــه، ثــم يتحدث عن حسن اتقان صنعته ،فهو محكم الصنع، تزينه الحلقات والزخارف، وأما عن دوره في المعارك فهو معروف ومحط إعجاب الفرسان الشجعان في ميــادين القتال، ويستخدمه الشاعر في الذب والدفاع عن المحارم والغضب لهــا، وجــاءت مفردات البيئة ظاهرة وواضحة من بيئته الاجتماعية ،وخبراته التاريخية فنسب هذا الدرع إلى (تبع) ،ثم ينتقل بنا إلى بيان ووصف هذه الدروع فهي لينة ملساء شــبه السمكة لينا وملمسًا، فلذلك تعجز عن قطعها الرماح والسهام، ولين الدروع شــيء أساسي فيها كي تمتص الضربات، وترد الطعنات ويتقي مرتديها طعنــات وســهام الأعداء، "ولم يكن لبسها والاتقاء بها جبناً وتهربًا من الموت، بل كان حافزًا علــى الصبر في المواقع والثبات في المقاتلة"[٢].

والشاعر في هذه الصورة ينقلنا نقلة مباغتة حين خرج من مفردات البيئة الصحراوية التي دار شعره حولها وما فيها، إلى البحر الذي لم ينظر فيه إلا للسمك الذي جعله أحد طرفي الصورة التي جسدها لهذه الدروع، مما ساعد على توضيح المعنى وإظهاره، وفي هذا البيت وهذه الصورة أمر يلفت النظر، فشــاعرنا نشــأة وعاش في بيئة بدوية، بعيدًا عن المناطق القريبة من البحار، وأيضا كشف المزرد عن جمال هذه الدروع، وقد توشحت بحلق صفر تزييناً لها ،وهي بيضاء لا صــدأ عليها حسنة المظهر والمخبر، حتى إذا رآها الناس أشاروا إليها بالأصابع قائلين : إنها ملِك فلان بن فلان .

---

(١) الحفاظ : الدفاع عن المحارم، والغضب لها ينظر: شرح المفضليات للأنباي ١/١٧٤ .

(٢) الحياة العربية من الشعر الجاهلي، د/ أحمد الحوفي، ص ٢٥٣، ط دار العلم، بيــروت ( د. ت) .

ثم ننتقل إلى وصف نوع آخر من أدوات الحرب وهي الخوذة فيقول: [١]

**وتَسْبِغَةٌ فِي تَرْكَةٍ حِمْيرِيَّةٍ ∴ دُلَامِصَةٍ تَرْفَضُّ عنها الجَنَادِلُ[٢]**

**كأَنَّ شُعَاعَ الشَّمسِ في حَجَرَاتِها ∴ مَصَابيحُ رُهْبانٍ زَهَتْها القَنَادِلُ[٣]**

يكشف الشاعر في هذين البيتين عن الخوذة فقد وصفها بأنها قوية صلبة لا تنكسر مبطنة بديباج محشوة، ملساء ناعمة لامعة إذا ما لمسها شعاع الشمس صارت كمصابيح الرهبان، ومن خلال وصفه للخوذة نشعر ونحس في وصفها أثر الرفاهية وعلو المكانة، وهذه الصورة مرتبطة ببيئة الشاعر وحياته، فالشمس ومصابيح الرهبان يعرفهما الشاعر في حياته، فعندما تقع الشمس على الخوذة تضيء وتصدر نورًا، مثل مصابيح الرهبان التي يوقدها ليلاً للسائلين، فكشف هذان البيتان عن ثقافة الشاعر ببيئته الجاهلية، ودوران ذلك المعنى على ألسنتهم فكلمة مصابيح الرهبان ترددت أيضًا عند امرئ القيس في بيته المعروف : [٤]

**يُضيءُ سَناهُ أَو مَصابيحَ راهِبٍ ∴ أَهانَ السَليطَ في الذَبالِ المُفَتَّلِ**

ثم يصف الشاعر الترس قائلاً : [٥]

**وجوب يرى كالشَّمسِ في طَخْيَةِ الدُّجَى ∴ وأَبْيضُ ماضٍ في الضَّرِيبَةِ قاصِلُ [٦]**

---

(١) الديوان ،ص٤٤.

(٢) التسبغة : شَيْءٌ مِنْ حَلَق الدُّرُوع ينظر شرح المفضليات ١٧٤/١. دلامصة : السهلة اللينة ينظر شرح المفضليات ١٧٤/١.

(٣) حجراتها : نواحيها شرح المفضليات ١٧٤/١، زهتها : أضاءتها وأشعلتها. ينظر السابق ١٧٤/١.

(٤) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص ٢٤، دار المعارف الطبعة الخامسة.

(٥) الديوان ،ص٤٤.

(٦) الجوب : الترس لسان العرب (مادة جَوْبُ)، طخية : السحاب والقتام يحول دون السماء من دون الشمس . ينظر : السابق (مادة طخية) قاصل : قاطع ينظر السابق (مادة قصل).

يبين الشاعر في هذا البيت صورة الترس، فهو لامع زاهٍ، فشبه الترس في بروقه وضياءه بالشمس بين الغمام، فالعرب تشبه كل شيء له لمعان بالشمس، ويظهر من خلال البيت حسن استخدام الشاعر لمفردات بيئته، وتطويعها في الكشف عن تجربته الشعرية وحسن تصويره تعبيرًا وتجسيدًا .

ثم يدلف بنا الشاعر حديثه عن الأسلحة فينتقل إلى السيف، فيأخذ في وصفه قائلاً: (١)

**سُلَافُ حَدِيدٍ ما يَزَالُ حُسامُهُ ∴ ذَلِيقاً وقَدَّتْهُ القُرونُ الأَوائلُ**

**وأَمْلَسُ هِنْدِيٌّ متَى يَعْلُ حَدَّهُ ∴ ذُرَى البَيْضِ لا تَسْلَمْ عليه الكَوَاهِلُ**

**إِذا ما عَدَا العادِى بهِ نَحْوَ قِرْنِهِ ∴ وقد سامَهُ قَوْلاً فَدَتْكَ المَنَاصِلُ**

**أَلَسْتَ نِقِيًّا ما تَلِيقُ بكَ الذُّرَى ∴ ولا أَنْتَ إِنْ طالتْ بكَ الكَفُّ نَاكِلُ**

**حُسامٌ خَفِيَ الجرس حين تسله ∴ صفيحته مما تنقى الصياقل**

يصف الشاعر في هذه الأبيات سيفه بالقوة والصلابة فهو كاسر للعظام قد صُنع من الحديد الخالص، كما أنه عتيق جيد الصناعة، هندي بتار أملس، وهو من أفضل وأحسن السيوف، إذ لا يمر على شيء إلا قطعه، فأغلب الصفات التي أسبغها على سيفه توضح أنه سيف بتار قوي حسن الصنعة، ويلمح في الأبيات مفردات البيئة والخلفية التاريخية للشاعر في وصف سيفه بأنه هندي، وأيضًا هذا السيف مصنوع من الحديد الخالص، فالحديد يعد من مفردات البيئة .

وأما حديثه عن الرمح فيبين لنا هيئته المثالية، ويربطه بمفردات بيئته التي عاش فيها فيقول: (٢)

**ومُطَّرِدٌ لَدْنُ الكُعُوبِ كأَنما ∴ تَغشَّاهُ مُنْبَاعٌ مِن الزَّيتِ سائلُ**

**أَصَمُّ إِذا ما هُزَّ مَارَتْ سَرَاتُهُ ∴ كما مَارَ ثُعْبَانُ الرِّمالِ المَوَائلُ**

---

(١) الديوان ص٤٤،٤٥،وردت في الديوان حين تسله ، وعند استلاله في الروايات الأخري.

(٢) الديوان ،ص٤٥،٤٦، وردت في الديوان له زائد، وفارط في الروايات الأخرى .

**لهُ زائـــد ماضِـــي الغِـــرَارِ كأَنَّـــهُ ∴ هِلَالٌ بَدَا في ظُلْمةِ اللَّيلِ ناحِـــلُ**

يكشف الشاعر عن صورة الرمح فهو لين مطواع، في لونه صفرة، فكأنـــه اكتسى زيتا غمره وغطاه، فأكسبه صفة الليونة، ثم يوضح المزرد تركيبة الـــرمح فهو أصم لا توجد به تجاويف فذلك يدل على أنه شديد الصلابة لا ينكسر، ثم ينتقل بنا إلى بيان حركته واهتزازه، فإنه إذا ما اهتز تحركت أجزاؤه مرة واحدة وسالت، واندفعت مثل ثعبان الرمل السريع، وأيضًا له أسنان حادة، وفي لمعانه وبروقه يشبه الهلال المضيء في ليل الدجى الحالك، فالناظر لهذه الأبيات يجد فيها تأثر الشاعر بمفردات بيئته التي يعيش فيها **(الزيت – ثعبان – الرمال – هلال – الألوان)**.

وهكذا كان حديث المزرد بن ضرار عن الأسلحة وأدوات الحرب المتمثلة في الدروع والتروس والسيوف والرماح والخوذة، تجسد وتصور البيئـــة الحربيـــة وتعكس الاعتداد بالعدة والعداد ومواجهة المخاطر، وأيضًا كان هناك ربط بين البيئة الحربية، والبيئة الطبيعية من خلال اسقاط بعض الألفاظ على تلك الأسلحة، فتصوير الترس في لمعانه بالشمس بين الغمام، وأيضًا حديثه عن هيئة الـــرمح إذا حركـــه يكون مثل ثعبان الرمل السريع، ثم يردف حديثه عن لمعان وبروق الرمح فيصوره بالهلال المضيء في الليلة الظلماء، إذا فقد استخدم الشاعر الوصف الدقيق الحي في حديثه عن أدوات الحرب، فكانت عنده مقدرة على تجسيد المعاني وتحويل المجرد إلى محسوس وملموس .

وأما عن وصف الصياد والصيد فهذا أمر شائع في الشعر الجاهلي، لأنـــه مرتبط بالبيئة التي يعيش فيها العرب " إذ كان صيد الحيوانات الشغل الشاغل لكثير منهم فكانوا يدربون الكلاب عليه، ويضرونها تضرية حتى تصبح مـــن الجـــوارح الفاتكة "(١).

(١) تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، د / شوقي ضـــيف ص ١٧٦، دار المعـــارف، الطبعـــة الحادية عشرة.

والمزرد لا يبعد كثيرًا في تطرقه لموضوع الصياد والصيد لأن معانيه في جملتها مطروقة تداولها من قبله ... حتى غدت تقليدًا يحذو فيه اللاحق حذو السابق، وإنما يكمن الاختلاف في عرض هذه المعاني، وتجسيدها وتصويرها من شاعر لآخر حسب أسلوبه وطريقته(١).

فهناك موروث شعري لا يستهان به في موضوع الصيد والصياد، ويعد منهلاً مهمًا لدى الشعراء، وأضافوا إليه من قرائحهم ما يميز كل شاعر عن الآخر ذلك أن نظم شيء جديد للشعراء لا يعني بالنسبة للشعراء العرب القدماء مغادرة الموروث الشعري تمامًا، وإنما توسيعه إلى درجة أن ميدان التوتر يبقى محفوظًا بين الموروث التقليدي والسمات الابتكارية(٢).

فيقدم لنا المزرد بن ضرار في خاتمة مفضليته قصة الصياد الفقير البائس، الذي يعاني شدة الحاجة والعوز في حياته، فيشير إلى ذلك قائلاً : (٣)

**لنَعْتِ صُبَاحِيٍّ طويلِ شَقاؤُهُ ∴ لهُ رَقَمِيَّاتٌ وصَفْرَاءُ ذَابِلُ(٤)**

**بقِينَ لهُ مما يبري وأَكْلَبٌ ∴ تَقَلْقَلُ في أَعْنَاقِهِنَّ السَّلاسِلُ**

**سُحَامٌ ومِقْلَاءُ القَنِيصِ وسَلْهَبٌ ∴ وجَدْلاءُ والسِّرْحانُ والمُتَناوِلُ**

**بناتُ سَلُوقِيَّيْنِ كانَا حَياتَهُ ∴ فَماتَا فأَوْدَى شَخْصُهُ فَهْوَ خامِلُ(٥)**

---

(١) ينظر : الشماخ بن ضرار الذبياني – حياته وشعره، صلاح الدين الهادي ، ص ١٨١ ،ط دار المعارف ١٩٦٨م.

(٢) ينظر : قصيدة مزرد بن ضرار اللامية ،محمد فؤاد نعناع ،مجلة جذور العدد رقم (١٠) ص٣٠٠،السنة الخامسة، رجب ١٤٢٣هـ ،إصدار النادي الأدبي الثقافي بجدة .

(٣) الديوان ،ص٤٨،٤٧، وردت في الديوان وأعيا، وفأعيا في الروايات الأخرى .

(٤) صباحي : رجل من بني صباح بضم الصاد، وكان صائدًا . ينظر: شرح المفضليات ١/١٨٠، رقميات : سهام لسان العرب (مادة رقم)، ذابل : التي قطع عودها وطرحت في الشمس حتى ذهب ماؤها شرح المفضليات ١/١٨٠ .

(٥) سلوقيين : يقال : كلب سلوقي : منسوب لأبي سلوق : قرية باليمن، معجم ديوان الأدب للفارابي، تحقيق د / أحمد مختار عمر، مراجعة د/ إبراهيم أنيس ١/٣٩٨، ط مؤسسة دار الشعب للصحافة والنشر القاهرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

وأَيْقَنَ إِذْا مَاتَا بِجُوع وخَيْبَةٍ ∴ وقال لَهُ الشَّيطانُ إِنَّكَ عائِلُ[1]
فَطَوَّفَ في أصحابه يستثيبهم ∴ فآبَ وقد أَكْدَتْ عليهِ المَسائِلُ
إلى صبية مثلِ المغَالِي وخِرْمِلٍ ∴ رَوَادٍ ومن شَرِّ النِّسَاءِ الخَرَامِلُ[2]
فقالَ لها هلْ مِن طَعامٍ فإِنَّني ∴ أَذُمُّ إِليكِ النَّاسَ أُمُّكِ هابِلُ
فقالتْ نَعَمْ هذا الطَّوِيُّ ومَاؤُهُ ∴ ومُحْتَرِقٌ مِن حائلِ الجِلْدِ قاحِلُ[3]
فلما تَنَاهَتْ نفسُهُ من طعامِهِ ∴ وأَمْسَى طَليحاً ما يُعانِيهِ باطِلُ[4]
تَغَشَّى يُريدُ النَّوْمِ فَضْلَ ردائه وأعيا علي العَينِ الرُّقَادَ البلابلُ[5]

تكشف هذه الأبيات عن الصياد الذي يلازمه سوء حظه، ورجوعه من صيده خائبًا، يظهر عليه الذل والحاجة والفاقة، وقد استعان الشاعر بمفردات البيئة ليكشف لنا عن حال هذا الصائد، والصيد، والذي يملك ستة من الكلاب ليس لهم عمل، أو دور مهم في عملية الصيد، فإنهما يشبهان والديهما اللذين هلكا قبل ذلك، وأثّر غيابهما على حياته، فالحظ، والنحس يلازمانه، فها هو ذا يخرج للصيد، وكله أمل وتفاؤل أن يرجع بصيد سمين، لكنه يصاب بالخيبة والإحباط، ويرجع خالي الوفاض، ليس معه شيء يرجع به إلى أولاده وزوجته الذين يتضورون جوعًا ،فيذهب ويطوف على أصحابه حتى يمدوا له يد العون، ويقدموا له شيئًا، ولكن أصحابه منعوا عنه أيضًا العطاء، فأحس بالشقاء والبؤس، وراح يصف أولاده بشئ

(١) عائل : العالة الفقراء، من كان يعول كثير عياله . ينظر لسان العرب (مادة عال).
(٢) المغالي : سهام لا نصل لها يرمي بها في الهواء، ينظر شرح المفضليات ١٨١/١ ــ الخرامل : المرأة الرعناء الحمقاء ينظر لسان العرب (مادة خِرمل)، رواد : الطوافة في بيوت جاراتها ولا تستقر في مكان لشرها ينظر شرح المفضليات ١٨١/١ .
(٣) الطوى : البئر العادية القديمة . ينظر : لسان العرب (مادة طوي)، القاحل : اليابس من الجلود . ينظر السابق(مادة قحل).
(٤) طليحا : من الطلح والطلاحة، وهو الضعف والإعياء ينظر لسان العرب (مادة طلح).
(٥) البلابل : الهموم ينظر لسان العرب (مادة بَلْبَلَ).

من مفردات بيئته، فيصورهم بالسهام التي لا نصل لها من سوء حالهم وشدة نحولهم ،وبعد رجوعه أخذ يسأل زوجته الطعام بعد ما قص لها ما حدث معه، من عدم التوفيق في الصيد، وإعراض أصحابه عنه، وإحساسه بالذل والمهانة، فلم يجد إلا أنه دعا على زوجته بالموت والهلاك، لأنها لم تكن متعاونة مع زوجها بل كانت عبئا عليه، فقالت له لا يوجد طعام سوى ماء هذا البئر اليابس القاحل، وجلد محترق كانوا قد اشتوه، ولقد زهد هذا الصياد عن الطعام حتى صار هزيلاً ضعيفًا وجافاه النوم، ليس بسبب تعبه من الصيد، ولكن بسبب الهموم الثقال التي ألقيت على عاتقه فمثله لا يستطيع أن يوفر القوت الضروري للحياة له ولأسرته.

ومن خلال النظر في الأبيات نجد أن الشاعر قد استعان بمفردات بيئته الصحراوية لكي يخرج لنا هذه الصورة الواضحة أمام المتلقي فيظهر فيها صورة الكلاب **(سخام – مقلاء – متلهب – جدلاء – السرحان – المتناول)** التي يستعين بها في الصيد .

ويعد المزرد بن ضرار قد ابتكر ابتكارًا جديدًا من خلال إيراد أسماء ستة كلاب في بيت شعري واحد، ومن مفردات البيئة التي استعان بها في الكشف عن الصورة البئر والجلد المحترق المشوي ليظهر مدى ما وصل إليه هو وأولاده من فقر مدقع، وحاجة وبؤس، وهذا البيت الأخير الذي تنتهي به القصيدة ترك في نفس المتلقي حزنًا شديدًا يفضي به إلى التعاطف مع هذا الصياد البائس الحزين، فمع أن النقاد أشاروا إلى أهمية البدايات والمطالع، فخاتمة القصيدة أيضًا لها وقع في النفوس مثل المطالع تمامًا فهي " آخر ما يبقى من القصيدة في الأسماع وسيله أن يكون محكمًا لا تكمن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحًا له، وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه"(١).

(١) العمدة لابن رشيق، ٢٣٩/١.

وبعد، فلقد كان تصوير الشاعر لمشهد الصياد والصائد جاء مرتبطًا بمفردات بيئته، كاشفا فيه عن عدم مقدرته على الصيد مع أنه يملك عددا كبيرا من كلاب الصيد التي لم تستطع مساعدته في الحصول على طعام، فلم يجد ما يقتات به وأولاده الناحلين الضعفاء.

**تطبيع الإنسان** :

تعد العلاقة بين الإنسان والطبيعة مصدرًا مهمًا من مصادر الإلهام الشعري، فتعبر عن أحاسيسهم وانفعالاتهم في شكل من أشكال البيئة المتعددة وهذه الأشكال تبين لنا ثقافة الشاعر ،وتجاربه الشخصية فكانت الطبيعة مركزًا ومصدرًا للجمال، ومرآة للنفس البشرية، فيعبرون عن حالاتهم النفسية من فرح وحزن وحب وغزل، ثم يقوم الشاعر بتحويل بطل قصيدته إلى نبات، أو حيوان، أو طائر، أو أي شيء من مكونات البيئة التي يعيش فيها، ففي ذلك ربط بين الإنسان ، ومفردات بيئته وتطبيعه.

وقد ظهر ذلك عند المُزَرِّد بن ضِرار من خلال حديثه عن محبوبته فيصف جمالها والشكل الأنثوي قائلا: (١)

**وعَيْنَيْ مَهَاةٍ في صُوَارٍ مَرَادُها ∴ رِياضٌ سَرَتْ فيها الغُيُوثُ الهَوَاطِلُ**(٢)

يصف الشاعر جمال عين محبوبته الواسعتين الجميلتين كعيني البقرة الوحشية، فيرسم لنا البيت صورة فنية تجمع بين جمال عين المحبوبة، وجمال الطبيعة، فهذه البقرة هي التي لفتت نظر الشاعر من وسط القطيع بجمال عينها الأخاذ فأسقطه على سعة وصفاء وجمال عين المحبوبة، وأيضًا عبر بكلمة (صوار) أي أنها آمنة لم يصبها الخوف والذعر مما يدل على أنه تمكن من إطالة النظر، وكشف عن جمال المحبوبة، فالذي أسره منها هو عيناها الواسعتان .

---

(١) الديوان ص٣٤.

(٢) مهاة البقرة الوحشية لسان العرب (مادة مهه)، صوار : جماعة من البقر السابق (مادة الصَّوْر).

ويستمر في حديثه عن المرأة وأوصافها، فالمرأة في القصيدة الجاهلية أو القصيدة العربية عمومًا تعد ركيزةً أساسيةً ومجالاً واسعًا يدور الشاعر فيه معبرًا عن مشاعره "وكل من يقرأ الشعر الجاهلي يلاحظ أن المرأة تحتل منه حيزًا كبيرًا فيها تغنى الشعراء وفي حبها نظموا كثيرًا من أشعارهم، ومنها استمدوا وحيهم ولها أفردوا مطالع قصائدهم"(١)، فيريد المُزرد بن ضرار أن يكمل لوحته الغزلية بالنظر إلى شَعر المحبوبة والذي يمثل معلمًا من معالم الجمال والحسن عند المرأة، فيصف لنا أهم صفتين في الشَعر، ألا وهما السواد والنعومة والاسترسال فيقول: (٢)

**وأَسْحَمَ رَيَّانِ القُرُونِ كأَنَّهُ ∴ أَسَاوِدُ ميال السِّبَاطُ الأَطَاوِلُ**

الناظر في البيت يرى أن الشاعر قد أحسن في استخدام مفردات البيئة وتطبيعها مع الإنسان ،فجمال المرأة يظهر من خلال شعرها الأسود حسن النبت كثير الأصول، هذا عن منبته وغزارته، ثم ينتقل إلى طوله ونعومته واسترساله يصوره بحيات الرمان الطويلة اللينة، ففي تصويره بشعر المحبوبة بالحيات يضفي على الصورة حركة وانسيابية ،وفيه شحذ وإثارة لذهن المتلقي الذي يثير الدهشة والإعجاب، من ناحية نعومة وانسياب واسترسال حركة هذا الشَعر الأسود.

ومن أجل اكتمال لوحة الغزل صور المزرد بن ضرار جمال ساقي المحبوبة بنبات البردي الذي يعد جزءا من مفردات بيئته،فيقول: (٣)

**وتَخْطُو على بَرْدِيَّتَيْنِ غَذَاهُمَا ∴ نَمِيرُ المِياهِ والعُيونُ الغَلَاغِلُ**

استخدم الشاعر في هذا البيت حسن التصوير في الكشف عن جمال المحبوبة وإظهار هيئتها ،فتحدث عن ساقيها فصورهما ببرديتين أي نبات تغذى على ماء عذب يجري بين هذه النباتات، فصارت الساقين مثل النبات في البياض

---

(١) دراسات في الشعر الجاهلي د/ يوسف خليف ،ص ١١١، دار غريب للطباعة والنشر ( د . ت ) .

(٢) الديوان ص٣٤، وردت في الديوان ميال، وريان في الروايات الأخرى .

(٣) ديوان المزرد بن ضرار ص٣٤.

والصفاء، وارتباط ساقي المرأة بالبرديتين النابتتين على الماء النمير العذب الـذي يجري بين الشجر، يومئ هذا المعنى إلى الإحساس بتجدد الحياة، ونمائها، فأبرزت الصورة هنا طرفي التأثير والتأثر بين النبات ،وساقي المرأة مـن ناحيـة التـنعم والترف الذي تعيشه المرأة فأصبحت ساقيها بيضاء والنبات الذي لا ينمو إلا وسط الماء العذب الجاري، فيحمد للشاعر ربط هذه الصور ببيئته التي عاش فيها ،وقـد أحسن في تصويرها لتصل إلى ذهن القارئ والمتلقي، فالصور الثلاث للمرأة كانت أركانًا مهمة في اللوحة التي رسمها الشاعر لمحبوبته والمرأة عمومًا، وقد جـاءت هذه الصور مرتبطة بالبيئة التي نشأ فيها وما احتوته من ريـاض ومـاء نميـر، واشجار وبرديات، وألوان وحيات.

## ✍ المبحث الثاني

## جماليات الفن في لامية المزرد بن برد

### أولاً : الألفاظ والأساليب وعلاقتها بمفردات البيئة :

إن الألفاظ التي يعبر بها الإنسان عن مشاعره وخلجات نفسه هي كالكائن الحي الذي يتغير ويتطور ويتلون حسب الظروف المختلفة التي تحيط به وتؤثر فيه، فلغة الشاعر هي الأداة الظاهرة المحسة، والشاعر فرد من أفراد بيئته، يكتسب لغته من خلالها، فاللغة هي " الجسم الذي يعبر عن كل ما يتجسد فيه من روح ومعان وأفكار ومنذ وجد الشاعر الأول، والشعراء يسعون إلى أداء ما انطبع في قلوبهم ونفوسهم من إحساسات ومشاعر إزاء الكون والطبيعة والحياة الإنسانية " (١) والشاعر الموهوب هو الذي يختار من الألفاظ ما يدل على المعنى الذي يريده، ويجعلها متناسبة مع المقام، والناظر في قصيدة المُزَرِّد بن ضِرار يرى أن مفردات البيئة تنطق بمفردات حياته فلقد عاش في الصحراء والبوادي، وتنقل بين ربوعها فتشربت ألفاظه من مظاهر الطبيعة المختلفة متحركها وساكنها ومنها ما يرتبط بالأمطار، ومنها ما يرتبط بحركة الماء، ومنها ما يتعلق بحيوانات البادية، ومنها ما يرتبط بالحروب وأدواتها، وما يتعلق بنبات الصحراء وطيرها، وما يرتبط بالمرأة، وما يتعلق بالصيد والصائد.

ومن يطالع لامية المُزَرِّد بن ضرار يرى أن الألفاظ التي حشدها في شعره تنبض بالأحاسيس معبرة عما يختلج في نفسه، وتتجلى فيها معالم البيئة الصحراوية.

فمن الألفاظ التي استخدمها في التعبير عن حزنه وبكاءه على نفسه وقد خط الشيب رأسه( يقنئه – اليرناء–الشكير– أطراف الثغامة – ناصل ) جاءت في قوله(٢):

---

(١) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف ص ١١٠، دار المعارف مصر ط ثالثة ١٩٦٢م.

(٢) الديوان ص٣٢،٣٣.

**يُقَنِّئُهُ ماءُ اليُرَنَّاءِ تحتَهُ ∴ شَكِيرٌ كأَطْرَافِ الثَّغَامَةِ ناصِلُ**

يتحسر الشاعر على شبابه عندما رأى الشيب ملأ رأسه وعندما رأته محبوبته أراد أن يغير من هذا الشَعر، فاستعان بمفردات البيئة ليبدل الشعر الأبيض الذي غزا رأسه بلون الحناء حتى يظهر شابا صغيرًا أمام محبوبته، وفيه استخدام لأنواع النبات في بيئته .

ومن الألفاظ التي لها صلة بالبيئة ما يتصل بالمطر، وأحواله والماء ودورها في حياة البادية، فتمثل ذلك في قوله : (الغيوث الهواطل – ورياض – نمير المياه – العيون – الغلاغل) فهذه الألفاظ التي ذكرها تدل على الحياة وجريانها فيشبه مشية محبوبته في الرياض التي ارتوت بالغيوث الهواطل، في ليلة ماطرة محمودة تهفو إلى مثلها العيون إذ مطر الليل عند العرب أحمد من مطر النهار فربط جمال المرأة بجمال الطبيعة، ويظهر ذلك في قوله[1]:

**وعَيْنَيْ مَهَاةٍ في صُوَارٍ مَرَادُهَا ∴ رِياضٌ سَرَتْ فيها الغُيُوثُ الهَوَاطِلُ**

**وتَخْطُو على بَرْدِيَّتَيْنِ غَذَاهُمَا ∴ نَمِيرُ المِيَاهِ والعُيُونُ الغَلَاغِلُ**

من المعلوم أن المياه شريان الحياة، وبه تحيا الأبدان ولكن قلته وعدم وجوده تؤدي إلى فقد الحياة، فيكشف الشاعر عن حالة البؤس والحزن، والضعف عند الصياد الذي ألمت به مصائب الحياة، من عدم قدرته على الصيد وعدم وجود الطعام وخذلان أصحابه له وزوجته التي لا نفع منها، فجاء دورها لكي تقضي على حياته، فبعد عودته من الصيد يسألها عن طعام فترد عليه أنه لا يوجد سوى هذا البئر اليابس الذي لا ماء فيه، فجاءت ألفاظ البيئة تدل على ذلك في قوله: [2]

**فقالَ لها هلْ مِن طَعامٍ فإنَّني ∴ أَذُمُّ إليكِ النَّاسَ أُمَّكِ هابِلُ**

**فقالتْ نَعَمْ هذا الطَّوِيُّ وماؤُهُ ∴ ومُحْتَرِقٌ مِن حائلِ الجِلْدِ قاحِلُ**

---

(١) الديوان،ص٣٤ .

(٢) الديوان ص٤٨.

الناظر في هذين البيتين يرى مفردات البيئة في قوله : ( **الطوى ومـــاؤه – محترق – حائل الجلد – قاحل)** أنها دلت على نفسية الصائد المتعبة المنهكة الذي لا يجد راحة داخل البيت ،أو خارجه فوجد الخذلان من الجميع .

ومن الألفاظ التي لها صلة بالبيئة الصحراوية والبدوية واستخدمها الشاعر في لاميته **(القلات – الوعث – الجنادل – السبسب )** فهذه الألفاظ تدل على معرفة المُزرد بالصحراء وتكوينها، والجبال وتركيبها .

ومن الألفاظ التي لها ارتباط وثيق بالبادية وما يتصل بحيوانها وصـــفاته، وهي كثيرة في لامية المزرد بن ضرار فقد حظيت الخيل عنده بحظ موفـــور مـــن شعره، فصورها تارة بالقوة والشدة، وتارة بالعدو، ورسم أعضـــائها، وصـــفاتها، وحركاتها وذلك لخبرته بوصفه الفارس الخبير بطباع الحيوانات، ويظهر من خلال تلك الأوصاف التي أسبغها على الخيل عموما وفرسه خاصة أنه أحبها حبًا كبيـــرًا لا يقل عن حبه للمرأة، وانظر إلى قوة الخيل وشدة ضراوتها وهي تجري قائلاً:(١)

**مُبرِّزُ غاياتٍ وإنْ يَتْلُ عانَةٍ .·. يَذَرْها كَذَوْدٍ عاثَ فِيها مُخَايِلُ**

يكشف الشاعر عن سرعة خيله في السباق، فهي سريعة قويـــة، حتـــى إذا عارضتها قطعة من إناث الحمير يعقرها ويتركها مجندلة في التراب فجاءت ألفـــاظ ومفردات البيئة مطابقة لتجربة الشاعر في إظهار قوة فرسه **(غايـــات – مبـــرز – عانة – مخايل)** .

ثم انظر إلى صفات الخيل المستحسنة **(طوال – القرا – أجش – تساتل – صائم )** فهذه الألفاظ تدل على حسنها وجمالها من ناحية صوتها القوي الذي يشـــبه المزامير وفي مشيتها تتابع غير منقطع، وأيضًا عندما وصف وقوف الخيل، فهـــي عظيمة الظهر طويلة .

---

(١) الديوان ،ص٣٧.

وإلى جانب الصفات السابقة يكشف عن صفات الخيل الجسدية في قوله **(قلقلته – سفيف الحصير – الشواكل – الطحر – المضيغ)** تكشف هذه الألفاظ عن تجربة الشاعر من خلال بيئته ليظهر لنا صفات الخيل فهي قد نحل جسمها، وقل لحمها من كثرة السير وصارت أضلاعها مثل سفيف الحصر، أي أصبح فروجًا بين ضلوعها (١):

**وقلقلته حتى كانه ضلوعه ∴ سفيف حصير فرجته الروامل**

**لهُ طُحَرٌ عُوجٌ كأَنَّ مَضِيغَه ∴ قِدَاحٌ بَرَاها صانِعُ الكَفّ نابِلُ**

**وأما في حديثه عن فرسه فيقول:**

**وسَلْهَبَةٌ جَرْداءُ باقٍ مَرِيسُهَا ∴ مُوَثَّقَةٌ مِثْلُ الهِرَاوَةِ حَائِلُ**

فهي فرس طويلة قصيرة الشعر قوية في السير محكمة الخلق ضامرة،تشبه العصا فجاءت الألفاظ ودلت على ارتباط الشاعر ببيئته وتعايشه معها مما أدي إلي إخراج لوحة فنية عن فرسه وكأنه فنان يرسم بريشته **(سلهبة–جرداء–موثقة–هراوة–حائل)**.

ومن الألفاظ التي لها ارتباط وثيق بمفردات البيئة والحياة البدوية عند المزرد بن ضرار ما يتصل بالحرب وأدواتها وهي كثيرة في لامية المزرد فهو شاعر كبير في قومه، فارس من فرسانها المعدودين ومن هذه الألفاظ **(المسفوحة – الفضفاضة – القتير – المعابل – الدلاص – الحظاء – تسبغة – الدلامصة – الجوب – الأبيض – القاصل – الذليق – الناكل – حسام – أصم – فارط ماضي)** فجاءت هذه الألفاظ مرتبطة بجو الصراع الذي كان يحتدم في العصر الجاهلي، فأراد أن يظهر قوة ومتانة، وحدة وسرعة، وزينة هذه الأدوات أمام المتلقي حتى تكشف عن شجاعته، وحسن استخدامه لأدوات الحرب المختلفة من دروع وتروس وأسنة وسهام وسيوف .

(١) الديوان ص٣٨،٣٩ .

وبعد فقد جاءت ألفاظ المزرد تعبيرًا عن ارتباط الشاعر ببيئته ، فاكتست ثوب البداوة، وتسربلت بلباس الجاهلية من بدايتها إلى نهايتها ورغم خضرمة المزرد إلا أن القصيدة جاءت بمفهومها، وبنائها وصورها قصيدة جاهلية المنشأ بدوية الفكر والاتجاه ليس للروح الإسلامية فيها تأثير من قريب ولا من بعيد .

ومن خلال القراءة والتحليل يلحظ في ألفاظ ولغة المزرد الجفاف والخشونة، وبعض الألفاظ التي تجنح إلى الغرابة، وتبدو أيضًا وعورة الألفاظ ووحشيتها على امتداد القصيدة وذلك عند وصف الفرس والخيل ذكر كلمات تحتاج الرجوع إلى المعاجم وربما بعض المعاجم لا تذكرها مثل **(طحر – وموشحة – تسبغة – مطرد–غلاغل–موشحة– قلقلته– مريسها – دلامصة )** فكشف عن ذلك ونوه إليه الأستاذان المحققان "أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، وهما بصدد شرح الألفاظ وبيان معانيها مثل كلمة (الغلاغل ) جمع غلغل، الماء الذي يجري بين الشجر فالمعنى هذا لم يذكر في المعاجم"(١) .

وشاعرنا المزرد بن ضرار وإن كانت البادية قد طبعت ألفاظه بطابعها ورأينا بعض الغرابة في ألفاظه، إلا أنها لا تعد غريبة بالنسبة للشعر الجاهلي ومعروفة عند الجاهليين، وبخاصة عند سكان البادية .

ويتسم أسلوب الشاعر بالقوة بما يتناسب مع غرضه وتجربته، فأسلوبه في اللامية ليس مجرد أداة لغوية، بل هو منظومة متكاملة تتناغم وتتوائم مع الأغراض التي طرحها في قصيدته، وجاء الأسلوب داعما لبنية النص، وله أثره على السامع والمتلقي، فمن مظاهر البادية في أسلوب المرزد بن ضرار استخدام أسلوب الشرط الذي لجأ إليه في مقدمته في ذمه للشيب وعدم حبه له قائلاً:(٢)

**فلا مَرْحباً بالشَّيب مِن وَفْدِ زَائرٍ .·. متَى يَأْتِ لا تُحْجَبْ عليه المَدَاخِلُ**

---

(١) المفضليات للمفضل الضبي(المفضل بن محمد يعلى بن عامر بن سالم)،تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ،وعبدالسلام هارون، ص٩٤، ط دار المعارف ،الطبعة السابعة .

(٢) الديوان ص٣٣ .

وأيضًا عندما يكشف عن استعداد الخيل وتهيئتها للجري فيصورها بالبازي الذي يتحفز ويستعد للانقضاض على فريسته، فهذه الصورة فيها سرعة وخفة حركة[١] :

**متي يُرَ مَرْكُوباً يُقَلْ بازُ قانِصٍ ∴ وفي مَشْيِهِ عندَ القِيَادِ تَسَاتُلُ**

وهكذا للشرط قوة تأثير وإثارة للمتلقي، وهو من الأساليب الظاهرة في الشعر الجاهلي وبخاصة في مستهل القصائد ووصف الحروب، وأدواتها، فمن خلاله يستطيع الشاعر، أن يحقق المفاعلة والمشاركة بينه وبين المتلقين .

ومن مظاهر البادية في أسلوب المزرد بن ضرار، فيلاحظ أنه يتحدث عن شيء مُشَبِها له بشيء آخر، ثم ينطلق في التفعيل الدقيق، ويبين أحواله وحركاته ومن هذا الاستطراد أنه قد وقف طويلاً أمام فرسه فجسد صورته واقفًا ومتحركًا ،ومن الناحية الشكلية للفرس فهو طويل عريض، له حوافر قوية تحطم الصخور والكثبان الرملية، وأما عن هيئته فصوره وكأنه يقف في مكان عال مرتفع من قوته وضخامته، ثم يكشف عن أصالته وعراقته فهو عربي صريح النسب، ومن مظاهر الاستطراد الحديث عن الأسلحة وأدوات الحرب في أبيات متتالية متتابعة دون انفصام وانفصال فيكشف عن ليونة الدروع، ثم يتحدث عن لمعان وبريق الرماح وتصويرها ببريق ولمعان الشمس، وسيوفه هندية قاطعة حادة، وهذا الاستطراد مظهر من مظاهر البادية التي لا تعرف الاستقرار فلعل الشاعر قد نظم هذه القصيدة وغيرها في مواقف مختلفة، وهذا مما يفسر لنا ظاهرة الاستطراد في وصف مظاهر البيئة الصحراوية والبدوية .

ومن مظاهر البادية في أسلوبه تغيير الأسلوب عن النمط المعهود إلى حد ما، حيث فصل بين المبتدأ والخبر فالمبتدأ مؤخر في بيت والخبر مقدم في بيت قبله[٢]:

---

(١) الديوان ص ٣٦.

(٢) الديوان ،ص٣٥.

**وعندي إذا الْحَرْبُ العَوَانُ تَلقَّحَتْ ∴ وأَبْدَتْ هَوَادِيها الخطُوبُ الزَّلَازلُ**

**طُوَالُ القَرَا قدْ كادَ يَذهَبُ كَاهِلاً ∴ جَوَادُالمَدَى والعَقْبِ والخَلْقُ كامِلُ**

ففصل بين طوال وهو مبتدأ مؤخر، وعندي خبر مقدم في البيت الذي قبله وهذا يدخل في باب التقديم والتأخير .

ومن الأساليب التي استخدمها الشاعر في لاميته حسن تنقله بين أبياته، والربط بين المعاني والألفاظ التي أوردها ومن ذلك تنقله من النسيب ، ووصف المحبوبة إلى الفخر بنفسه وقوته قائلا : (١)

**وتَخْطُو على بَرْدِيَّتَيْنِ غَذَاهُمَا ∴ نَمِيرُ المِياهِ والعُيونُ الغَلَاغِلُ**

**فَمَنْ يَكُ مِعْزَالَ اليَدَيْنِ مكانُهُ ∴ إذا كَشَرَتْ عن نابِها الحَربُ خَامِلُ**

**فقد عَلِمَتْ فِتْيانُ ذُبْيَانَ أنني ∴ أنا الفارس الحامِي الذِّمارَ المُقاتِلُ**

**وأَنِّي أَرُدُّ الكَبْشَ والكَبْشُ جَامِحٌ ∴ وأَرْجِعُ رُمحِي وهْوَ رَيَّانُ ناهِلُ**

**وعندي إذا الْحَرْبُ العَوَانُ تَلقَّحَتْ ∴ وأَبْدَتْ هَوَادِيها الخطُوبُ الزَّلَازلُ**

من خلال النظر في هذه الأبيات نلمح حسن تخلص الشاعر من غرض إلى غرض فتخلص من الشيب، وحديثه عن المرأة المحبوبة إلى الفخر بنفسه وقومه ، فيظهر في قوله **(فمن يك معزال اليدين مكانه)** أثر الحكمة التي ينطق بها الشيوخ في أن الذي يدخل الحرب دون سلاح لا فائدة منه في الحرب فيعد عبئًا على جيشه، فإذا يوجد ربط بين الأبيات**( فمن يك )**، و**(فقد علمت فتيان ذبيان أنني)** يوحى إلى إعلان الشاعر فروسيته والدفاع عن عشيرته وحماية أهله في الشدائد والخطوب ، فقدم لنا الشاعر صورة مثالية من مفردات البيئة المجتمعية للفارس العربي ، الذي يعمل سلاحه في أعداء قومه ورمحه وقد روى ظمأه من دم سيد هؤلاء القوم، ويكشف الدكتور حسن البنداري أن حسن الوصل بين الأبيات أساسه التنقل الفني "

(١) الديوان ص٣٤،٣٥.

خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجًا لطيفًا ... حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغًا"[١].

ومنه أيضًا استخدام أسلوب الحوار في شعره قائلاً [٢]:

**فقالَ لها هلْ مِـن طَعـامٍ فـإنَّني ∴ أَذُمُّ إليكِ النَّـاسَ أُمَّـكِ هابِـلُ**

**فقالتْ نَعَمْ هـذا الطَّـوِيُّ ومـاؤُهُ ∴ ومُحْتَرِقٌ مِن حائلِ الجِلْدِ قاحِـلُ**

يكشف الحوار عن طبيعة العلاقة بين الصياد وزوجته وتأزم العلاقة بينهما فعند رجوعه من الصيد وهو لا يحمل شيئًا سوى الهموم والأحزان لزوجه وأولاده الذين يبحثون عن أي طعام يقتاتون به ، فردت عليه لا يوجد سوى هذا البئر الذي جفت ماؤه، والجلد المحترق الذي لا فائدة منه، إذا كشف الحوار عن مفردات البيئة التي تناولها الشاعر وهي **(البئر – الجلد – المحترق)** وأيضًا كشف عن البيئة المجتمعية من خذلان الصديق والزوجة لهذا الصائد إذا الحوار هو لغة المؤلف التي كان من الممكن أن تتحد بها الشخصيات بذاتها ومن حديث الشخص تستطيع أن تعرف عنه كل شيء[٣] .

**ومن المحسنات البديعية التي استخدمها الشاعر أسلوب التصريع :**

فالتصريع هو : "أن يجانس الشاعر بين شطري البيت الواحد في مطلع القصيدة، أي يجعل العروض مشابهًا للضرب وزنًا وقافية" [٤] .

---

(١) تذوق الفن الشعري في الموروث النقدي والبلاغي د / حسن البنداري ص ١١٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٩م.

(٢) الديوان ص٤٨ .

(٣) ينظر : الأدب وفنونه – دراسة ونقد – عز الدين إسماعيل ، ص ١٣٦ ،ط دار الفكر العربي .

(٤) علم العروض والقافية ، د / عبد الغزيز عتيق ، ص ٣٤ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت ، ١٤٠٧هـ.

وقد جاءت لامية المزرد بن ضرار مصرعة في بدايتها مما يدل على كثافة الإيقاع وسهولة حفظ الصورة الصوتية التي اتكأ عليها الشاعر في قوله : [١]

**صَحَا القلبُ عن سَلْمَى ومَلَّ العَواذِلُ ∴ وما كادَ لأَياً حُبُّ سَلْمَى يُزَايِلُ**

نجد عروض هذا البيت "عواذل " **(مفاعلن)** ، والضرب "يزايل" **(مفـــاعلن)** بين الكلمتين توازن واتساق، وبيان وحضور الصورة الغزلية فهـــو يتحـــدث عـــن محبوبته، فرسم لها صورة مثالية من اختيار اسمها الذي يتردد كثيرًا عند شـــعراء الغزل، وفي اسم سلمى ترديد عاطفي فجاء التصريع وأظهر تلك الأمور المتعلقـــة بمحبوبته .

إذا جاءت أساليب المزرد بن ضرار مأخوذة من مفردات بيئته التي عـــاش فيها، وربطها بالصورة والمعنى المراد .

**ثانيا- الصورة الشعرية وعلاقتها بمفردات البيئة** :

عندما نطالع الصور الفنية والشعرية التي حشدها المزرد بن ضـــرار فـــي لاميته نجد أن البيئة الصحراوية والبدوية، ومظاهرها المختلفـــة تمثـــل المصـــدر الرئيس عنده، فتعددت الموضوعات واختلفت فيها المشاهد فإن ذلك يجعل المتلقـــي يقف على أنماط متنوعة للصورة الشعرية التي تتناسب مع لون الخطاب الذي أورده ضمن سياقاته الشعرية، واتســـمت بعـــض صـــوره بالحســـية فـــإن "التشـــبيهات والاستعارات في الشعر الجاهلي تكاد تكون قوالب ثابتة ، فـــإذا وصـــف الشـــاعر الإبريق توقعنا تشبيهه بالظبي وإذا وصفنا الأطلال وجدنا بإزائنا الصحف والكتابة والوشم، فإذا وصف الخمر تبادر إلينا وصف رائحتها بالمسك، وإذا وصف المرأة خطر لنا بإزائها البدر، والشمس والظبي والجوذر والقطاة ، كما كـــانوا يشـــبهون بأشجار البادية كالنخيل والدوم وغيرها وما ذلك إلا لغلبة البداوة على حياتهم"[٢]

---

(١) الديوان ص٣٢.

(٢) الشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري النشأة والتطـــور ، د / محمـــد مصطفى هدارة ، ص ٦٨ ،ط دار المعارف.

ولقد جاءت صور المزرد بن ضرار فطرية واضحة لا إغراب فيها فصوره متنوعة غالبًا من بيئته التي يعيش فيها، كالأماكن والحيوانات والوحوش والطيور وغيرها مما تأثر به في بيئته.

فعندما يصور المزرد محبوبته ويكشف عن جمالها يأتي لنا بصورة من واقع البيئة التي نشأ فيها، فيرسم صورتها في ثلاث ركائز من القيم الجمالية للمرأة العربية ، فبدأ بعينيها ثم شعرها ، وساقيها .

فتأتي صورة العينين صورة تقليدية تداولها الشعراء، ولم يخرج عنها المزرد [١]:

**وعَيْنَيْ مَهَاةٍ في صُوَارٍ مَرَادُها ∴ رِياضٌ سَرَتْ فيها الغُيُوثُ الهَوَاطِلُ**

صور الشاعر عين محبوبته بعيون البقر الوحشي الواسعة التي تظهر جمال المحبوبة وعبر بكلمة (صوار) ليدل على أن هذه البقرة تسير برفقة آمنة لا يصيبها خوف ولا ذعر، مثلها مثل محبوبته التي تعيش في رفقة أهلها منعمة مرغدة .

ثم يصور شعرها الطويل المسترسل قائلاً: [٢]

**وأَسْحَمَ ميال القُرُونِ كأَنَّهُ ∴ أَسَاوِدُ رَمَّانَ السِّبَاطُ الأَطَاوِلُ**

من علامات جمال المرأة الشعر الناعم ، الغزير ، الطويل فصور الشاعر هذا الشَعر بشيء من مفردات بيئته وهي حيات الرمال الطويلة السريعة فأضفى على الصورة حركة وانسيابية ، تثير ذهن القارئ والمتلقي في الربط بين طول شعر المحبوبة وسواده، وحيات الرمال السوداء الطويلة .

ومن أجل أن تكون اللوحة تامة وجميلة ينتهي به الأمر في تصوير ساقي المحبوبة قائلاً: [٣]

**وتَخْطُو على بَرْدِيَّتَيْنِ غَذَاهُمَا ∴ نَمِيرُ المِياهِ والعُيونُ الغَلَاغِلُ**

---

(١) الديوان ص٣٤.

(٢) الديوان ،٣٤، وفي الديوان ميال القرون، والروايات الأخري ريان.

(٣) الديوان ص٣٤.

في هذا البيت قد أحدث لنا الشاعر معنى جديدًا لصورته ، فإن بياض الساقين وصفائها والجانب المقابل لهما البرديتين يدل على أنه هناك إحساس بتجدد الحياة ونمائها وتدفق خصبها فجريان الماء العذب وسط هذه النبتة يجعلها بيضاء صافية ، وكذلك ساقي المحبوبة ناعمتين مصقولتين تغلب عليهما صفة البياض يدل على أن المحبوبة منعمة مرفهة في عيشها لا يكدر ساقيها شيء.

وبعد حديثه عن تصوير المحبوبة يكشف لنا صورة كلية عن الخيل فيجسد صورتها، وهيئتها ومشيتها من بيئته قائلاً : (١)

**أَجَشُّ صَرِيحيٌّ كَأَنَّ صَهِيلَهُ ∴ مَزَامِيرُ شَرْبٍ جاوَبَتْها جلاجِلُ**

**متي يُرَ مَرْكُوباً يُقَلْ بازُ قانِصٍ ∴ وفي مَشْيِهِ عندَ القِيادِ تَسَاتُلُ**

**تقولُ إذا استقبلته وهْوَ صائمٌ ∴ خِبَاءٌ على نَشْزٍ أَوِ السِّيدُ ماثِلُ**

يؤكد الشاعر على أصالة الخيل، فهي عربية صريحة معروفة فجاءت الصورة الصوتية لتؤكد المعنى، فصهيل الخيل يشبه المزمار في قوته وهذا الأمر مستحب في الخيل الأصيلة وجاءت بعض الألفاظ تؤكد الصورة وتوضح المعنى وهي قوله ( **أجش الصوت)** ، ثم ينتقل بنا الشاعر إلى صورة الخيل فيصور حال ركوبها دون مشيها أو سيرها ، بباز يقف على يد صائد، وهذا الباز تحفز لصيد رآه، ففي الصورة ربط بين حال الخيل وحال الباز، فالخيل تحفز للاستعداد ليجري، والباز عنده تحفيز واستعداد للانقضاض على فريسته ، فهذه الصورة مليئة بخفة الحركة وسرعة الانقضاض من الطرفين ، مما فيه من إثارة لذهن القارئ والسامع ، ويجعله يحس بما يتمتع به الشاعر من حسن التصوير فـ "الخيال أحد العناصر الرئيسية للإبداع الفني، وهو المعين الواسع الذي يمد المبدع بكل أفكار التكوين الشعري ، كما أنه يقوده إلى الصورة الفنية" (٢) ، وما زال الشاعر يصور

---

(١) الديوان ص٣٥،٣٦.

(٢) مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة ، د / فاطمة سعيد أحمد حمدان ، ص ٢١٧ مطبوعات جامعة أم القرى .

ويجسد لنا صورة الخيل عند وقوفها في مكان مرتفع فيصفها بالذئب الذي قد انتصب فتشير الصورة لاستعلاء الفرس وغلظ مقدمته.

وفي حديثه عن فرسه يأتي لنا بصورة حركية يطبعها بطابع إنساني فيجسد حركته بحركة الإنسان عند غضبه قائلاً: (١)

**صَفُوحٌ بِخَدَّيْها وقد طال جَرْيُها ∴ كما قلَّبَ الكَفَّ الأَلَدُّ المُجَادِلُ**

يربط الشاعر في هذا البيت بين صورتين من الصور المتحركة صورة الإنسان وصورة حركة الحيوان فقد جسد وصور تقلب خدي الفرس أثناء جريها وهي تنظر يميناً ويسارًا، بصورة حركية لرجل مجادل، وهو يضرب كفًا على كف حين يخاصم غيره، وفي هذه الصورة لا نجد فيها عاطفة أو تعمقًا في الإحساس أو اللذة التي تأتي من وراء الصورة، سوي بيان الصورة الحركية بين الطرفين .

ويصور الشاعر فرسه بالقطاة التي تريد النجاة من الصقور التي تريد اللحاق بها ، فيقول: (٢):

**فإنْ رُدَّ مِنْ فَضْلِ العِنَان تَوَرَّدَتْ ∴ هَوِيَّ قَطَاةٍ أَتْبَعَتْها الأَجادِلُ**

تكشف هذه الصورة عن العلاقة الوطيدة الحميمة بين الفرس وصاحبها، فهي ليست فرسًا جموحًا شاردًا، بل هي مطواعة تعرف ما يريد صاحبها، فتصويرها بالقطاة يوحي بالتؤام والتوافق بين المشبه والمشبه به، فالفرس أنثى الخيل، والقطاة أنثى اليمام، وهذا يجعلنا نشعر بوجود العاطفة التي هي نتاج للخيال الذي كان له كبير أثر في إظهار الصورة " إذ براعة الشاعر وسبقه للمعاني وابتكاره لها تتوقف على قوة الخيال ، وقدرته على التأمل والتفكير فيما يحيط به"(٣).

---

(١) الديوان ص٤١.

(٢) الديوان ص٤١،وردت في الديوان فإن رد، وإن رد في الروايات الأخرى.

(٣) مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة ، د/ فاطمة سعيد أحمد حمدان ،ص ٢٥١ .

ثم ينتقل بنا الشاعر إلى تصوير الأسلحة التي تأتي في هذه اللامية متتابعة متواصلة دون انقطاع وأول ما تكشف عنه الصورة هو الدروع فيقول عنها[١]:

**دِلَاصٌ كظَهْرِ النُّونِ لا يَستطيعُها ∴ سِنَانٌ ولا تلكَ الحِظَاءُ الدَّوَاخِلُ**

يكشف الشاعر عن صورة هذه الدروع في ليونتها وملامستها ونعومتها ، بصورة ظهر السمكة أو الحوت ليناً وملمسًا فلا تستطيع الرماح أو السهام قطعها .

والشمس بنورها وضيائها كانت مصدرًا من مصادر الصورة عند المزرد فيقول: [٢]

**كأَنَّ شُعَاعَ الشَّمسِ في حَجَرَاتِها ∴ مَصَابيحُ رُهْبانٍ زَهَتْها القَنَادِلُ**

ففي معرض حديثه عن الخوذة قد اتجه الشاعر إلى بيئته وركب منها صورته الضوئية فالشمس ومصابيح الرهبان شيئان يعرفهما الشاعر في حياته، فسقوط الشمس على خوذة الفارس والمقاتل تشبه مصابيح الرهبان التي تضيء ليلاً للسائلين ،فكشفت الصورة الضوئية عن مراد الشاعر في وصفه للمعان وبريق الخوذة .

وبعد حديثه عن الأسلحة وأدوات الحرب وربطها بصور بيئته يكشف الشاعر عن فصاحة شعره، وموهبته الشعرية وقدرته على حسن التعبير عن معانيه دون عجز وعي، ويقوم بتحذير خصمه في هذه الصورة قائلاً : [٣]

**فَمَنْ أَرْمِه منها ببَيْتٍ يَلُحْ بهِ ∴ كَشامَةِ وَجْهٍ ليس لِلشَّامِ غاسِلُ**

يبين الشاعر في هذا البيت قوته الشعرية فمن يهجوه بقصيدة من شعره تبقى ملازمة له طيلة حياته، مثلها مثل بقاء الخال في الخد لا يمحوه ، ولا يزيله شيء فتكون عارًا عليه ، والخال سمة من سمات الجمال على خدود الحسان، أما الرجال فهو علامة من علامات العار، واستطاع الشاعر في هذا البيت أن يجسد

(١) الديوان ص٤٣ .

(٢) الديوان ص٤٤ .

(٣) الديوان ص٤٧.

المعنى المعنوي بالحسي ، ليكشف المعنى ويستثير المتلقي، وفيه بيان عن مقدرة الشاعر وتمكنه فالصورة "هي ميدان العمل الذي تظهر فيه مقدرة الشاعر ويبرز تمكنه من صنعته"(١).

وبعد، فقد جاءت صور الشاعر في مجملها مرتبطة ببيئته فوظف الشاعر الظواهر الطبيعية في صوره ، مما أضفى على النص عمقًا وثراء وحيوية فنراه يردد ألفاظ الطبيعة من الرياض والعيون والمياه والشمس والهلال ويردد من حيوان البيئة وطيورها وأحيائها المهاة والحيات والباز والذئب ، وهو "لا يعطي صورة الطبيعة كما هي وإنما يعطي صورتها بعد أن انفعلت في نفسه وبعد أن تمثلها بروحه ، وأخرجها شيئًا آخر فيه جوهر الطبيعة وليس شكلها الظاهري"(٢).

وهكذا نرى أن البيئة كانت مصدرًا ثرا استقى منه الشاعر صوره الفنية ومعانيه التي يقصد إليها .

**ثالثاً - الموسيقى وعلاقتها بمفردات البيئة** :

تعد الموسيقى هي الركن الأساس الذي يقوم عليه الشعر فهي التي تنقل الأحاسيس والمشاعر من صورة جامدة إلى صورة متحركة أو من صورة ثابتة إلى جامدة فذلك يبين مقدرة الشاعر في تحويل المعنوي لحسي ، ليكشف المعنى ويستثير السامع والمتلقي ، فمن خلال الإيقاع الموسيقي، وأصواته يتمكن السامع الكشف عما يحوك في صدر الشاعر من نزعات، وآهات متنوعة، فيبين الدكتور محمد السعدي فرهود أهمية الموسيقى للشاعر قائلاً : "ولموسيقا الشعر أهميتها لك من المبدع والمتلقي، فهي تساعد المبدع في بناء مضمونه الشعري، وانسياب أفكاره ومشاعره"(٣).

---

(١) الأسس الجمالية في النقد العربي ( عرض وتفسير ومقارنة ) د/ عز الدين إسماعيل ، ص ٢١٨ ، دار الفكر العربي ط ١٩٧٤م.

(٢) النابغة الذبياني ، د / محمد زكي العشماوي ص ١٨٠ ، دار المعارف ١٩٧٩م.

(٣) قضايا النقد الأدبي الحديث د / محمد السعدي فرهود ص ١٢٤ ، مطبعة زهران بالقاهرة ١٩٦٨م.

**أ – الموسيقى الخارجية :**

هي التي تتمثل في الأوزان والقوافي التي تؤثر في النفس بإيقاعها المنتظم ، فالوزن له ضرورة كبيرة في الشعر، فهو "مجموع من التفعيلات التي يتألف منها البيت الشعري، وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية"(١) .

وجاءت لامية المزرد بن ضرار منسوجة على بحر الطويل فيعد من أطول بحور الشعر العربي، ويمتاز بالطول الذي يعطي القدرة للشاعر على التعبير عن خلجات نفسه ، وتجاربه فهو أطول الشعر(٢) ، وقد وجد المزرد بن ضرار بغيته في استخدام هذا البحر ليستوعب تجربته ومفردات بيئته فتظهر تجربة الشاعر من خلال سرد بعض أبياته التي يتحدث فيها عن مفردات بيئته قائلاً: (٣)

**إلى صبية مثلِ المغَالي وخِرْمِلٍ ∴ رَوَادٍ ومن شَرِّ النِّسَاءِ الخَرَامِلُ**

**فقالَ لها هلْ مِن طَعامٍ فإِنَّني ∴ أَذُمُّ إِليكِ النَّاسَ أُمَّكِ هابِلُ**

**فقالتْ نَعَمْ هذا الطَّوِيُّ وماؤُهُ ∴ ومُحْتَرِقٌ مِن حائلِ الجِلْدِ قاحِلُ**

**فلما تَنَاهَتْ نفسُهُ من طعامِهِ ∴ وأَمْسَى طَليحاً ما يُعانِيهِ باطِلُ**

فعن طريق بحر الطويل يكشف لنا الشاعر أبعاد البيئة الاجتماعية والطبيعية فأبعاد البيئة الاجتماعية تتمثل في نزاعه بين زوجه، على المأكل والمشرب فهو خرج للصيد والبحث عن الطعام ولم يجد ورجع خائبًا صفر اليدين، فالتقته زوجته بلسان حاد ، فيه مرارة ولوم ، وعندما أراد منها الطعام ، فقالت له لا يوجد سوى بقايا الماء في البئر اليابسة وبعض الجلد المحترق ففي هذه الصورة يتضح لنا مرارة الخذلان والعوز لزوجته السليطة التي لا تبقى في بيتها بل تخرج منه،

---

(١) النقد الأدبي الحديث د / محمد غنيمي هلال ، ص ٤٣٦ ، ط سادسة ٢٠٠٥م، طبعة نهضة مصر.

(٢) انظر : البناء العروضي للقصيدة العربية د/ محمد حماسة عبد اللطيف ص ١٠٠، دار الشروق الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٣) الديوان ،ص٤٨،٤٧.

وكثيرة الشكوى، مما أدى إلى ضعف وخوار قوة هذا الصائد فزوجه أطبقت عليه الهموم، فهو لم يستطع أن يحصل على طعام له ولأولاده فزادت هي عليه هذا الهم بلسانها السليط ، إذا كشفت أبعاد بحر الطويل ما يعيشه الصائد من خذلان وعوز، وفقر، وأيضًا كشف عن حال زوجته التي تركته جائعًا، وربما هذه الصورة نجدها في عالمنا اليوم من خذلان بعض النساء لأزواجهم، والمفردة البيئية الأخرى هي وصف مظاهر الطبيعة ، وربطها بالمجتمع فتحدث الشاعر عن البئر، والجلود المحترقة ، والسهام فكل هذه المفردات تعد من تكوين البيئة، فجاءت مع مفردات البيئة المجتمعية لتظهر وتوضح الصورة أمام المتلقي مع تفعيلات بحر الطويل التي ألمت بما أحس به الشاعر من خذلان ومرارة .

**القافية :**

للقافية دور مهم في موسيقى الشعر ، لأنها تضيف لونًا من الموسيقى للقصيدة فهي " شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعرًا حتى يكون له وزن وقافية"(١) .

فالقافية هي إحدى ركائز الموسيقى في الشعر برنينها ونغماتها المتكررة تثير في نفوس المتلقين المتعة والجمال لأن الوقفات التي في القافية تريح القارئ، وتظهر الصورة الموقوف عليها معنى وموسيقى .

وأما عن لامية المزرد بن ضرار فقد بناها على حرف اللام الذي يحدث جلجلة داخل القصيدة ، التي تتحدث عن مفردات البيئة من خيل ، وسيوف ، ومياه، وحيوانات ، وطيور ، وظواهر فلكية ، فكانت القافية رمزًا لإبراز صوت الهوية الثقافية والتاريخية للمزرد بن ضرار، وأيضًا عند قراءة وسماع القصيدة تجعل السامع والمتلقي يشعر وكأنه يعيش داخل هذه البيئة وما فيها من مفردات طبيعية، وجاءت القافية مطلقة يعتريها الضم ، ليدل على أن حرف اللام يجعل القصيدة أكثر تأثيرًا وانسجامًا مع مفردات البيئة المحيطة به، وتضيف عمقًا للدلالة المعنوية .

---

(١) محاسن الشعر وآدابه للعمدة بن رشيق، ١٥١/١ .

**ب-الموسيقى الداخلية :**

هي العنصر الثاني الذي يتفاعل مع الموسيقى الخارجية لإحداث النعم وإيجاد البنية الإيقاعية للقصيدة ، وللموسيقا الداخلية أهمية داخل النص الشعري " فموسيقى الألفاظ تكون نابعة من تآلف أصوات الحروف في اللفظة الواحدة والحروف أصوات متفاوتة الجرس ، يقرع بعضها بعضًا حين تجتمع في اللفظ وينتج عن تناغم قرعها سلم موسيقي جميل ... ونابعة من تآلف مجموعات الموسيقى اللفظية حين ينتظمها التركيب في الفقرات والجمل، فالألفاظ المفردة تقرع للألفاظ المجاورة لها سابقًا ولاحقًا وينجم عن تناسقها تقارعها سلالم موسيقية جميلة على أن هذا التناغم الصوتي بين الألفاظ المفردة والمركبة لا تتم جمالياته الموسيقية إلا بتمام التناسق بين صوت اللفظ ودلالة محتواه"(١) .

وقد برع المزرد بن ضرار في تأليف موسيقاه الشعرية باختياره أدق الألفاظ وأوقعها نغمًا وطرب مما يسهم في إمتاع السامع والمتلقي ، وجاءت الموسيقا الداخلية عنده متمثلة في:

**موسيقى الحرف :**

للحروف جرس خاص ، داخل النص الشعري، فتعمل على شحذ الطاقة الشعرية ونقل الأحاسيس لتتجاوب مع المتلقي فيتم التلاحم بين الإيقاع الداخلي ووزن القصيدة، وموسيقى الحرف عند المزرد بن ضرار تدل دلالة واضحة على نفسيته وعاطفته وتجربته وإظهار مفردات البيئة داخل اللامية فمن ذلك قوله: (٢)

**سُحَامٌ ومِقْلَاءُ القَنِيصِ وسَلْهَبٌ ∴ وجَدْلاءُ والسِّرْحانُ والمُتَناوِلُ**

**بناتُ سَلُوقِيَّيْنِ كانَا حَياتَهُ ∴ فَماتَا فأَوْدَى شَخْصُهُ فَهْوَ خامِلُ**

**وأَيْقَنَ إِذْ مَاتَا بِجُوعٍ وخَيْبَةٍ ∴ وقال لهُ الشَّيطانُ إِنَّكَ عائِلُ**

---

(١) الإيقاع العروضي في الشعر العربي وقيمته رسالة دكتوراه إعداد محمد أحمد مخلوف ص ٢٩١ ، سنة ١٩٩٢م.

(٢) الديوان ص٤٨،٤٧.

**فَطَوَّفَ فـــي أصـــحابه يســـتثيبهم ∴ فآبَ وقد أَكْدَتْ عليهِ المَســـائِلُ**

**إلى صبية مثلِ المغَـــالي وخِرْمِـــلٍ ∴ رَوَادٍ ومن شَرِّ النِّسَاءِ الخَرَامِلُ**

الناظر في هذه الأبيات يرى سيطرة أصوات السين واللام والنون ، فتكرار هذه الحروف يدل على نفسية الصياد المتحطمة العاجزة فمع أنه يملك كلاب صيد، ولكن دون فائدة فلا يستطيعون مساعدته في الصيد ،وأيضًا تظهر الحروف حالـــة أولاده فمن شدة الجوع لا يسمع لهم صوت وأصبحوا مثل الســـهام مـــن الضـــعف والهزال ،ويأتي حرف اللام الذي يدل على القوة في الحركة فقد ابتلاه الله بـــامرأة سليطة اللسان حمقاء لا ينتفع بها ، لا تمكث له في بيت فجاءت صرخات الشـــاعر من زوجته وأصدقائه الذين تركوه وحزنه على أولاده الذين لا يجد لهم طعامًـــا ولا مأوى فكان لتكرار الحروف داخل النص دلالة على ما يعيشه الصائد من انكســـار وألم وحزن ، وأظهرت أيضًا مفردات البيئة التي استعان بها من الكـــلاب للصـــيد وبيان حال أهله وتصويرهم بالسهام التي لا نصل لها ، أي لا نفع منهم لما أصابهم من ضعف ونحول .

**الأصوات المجهورة والمهموسة:**

تتركب أصوات حروف اللغة من مجهور ومهموس، وهذا التنـــوع يعمـــل على تلوين الإيقاع الموسيقي في القصيدة الشعرية مـــن خـــلال أصـــوات هـــذه الحروف؛ حيث إنها "توظف خلال الطاقة الإيحائية لأجراســـها كحوامـــل للمعنـــى وكأدوات تعبر عنه ذات قدرة على نقلها بإيقاعاتها وأبعادها الصوتية"(١).

فيلاحظ استخدام الحروف المجهورة التي يهتز معهـــا الـــوتر الصـــوتي، ويظهر فيها الشدة والقوة والانفجار مثل (القاف والباء واللام والجيم)فهذه الأصوات تولد إيقاعا قويا صاخبا، وذلك يناسب الفخر والشجاعة ووصف الحرب وأدواتهـــا،

---

(١) **أصول قديمة في شعر جديد**، نبيلة الرزاز اللجيمـــي، منشـــورات وزارة الثقافـــة، دمشـــق، ١٩٩٥م، ص ١٣٥.

ويتضح ذلك في قوله **(أنا الفارس الحامي الذمار المقاتل)**وفي وصف الخيل**( أجش صريحي كأن صهيله مزامير شرب جاوبتها جلاجل)** فتكرار الحروف المجهورة هنا يضفي قوة ورسوخا، في وصف الشاعر لنفسه بأنه مقاتل شجاع، ويمتلك من الخيل العتاق القوية التي لها صوت مميز يظهر عند صهيلها وجريها في مواطن القتال، وأيضا هذا التوظيف الصوتي يجعل المتلقي أكثر انتباها وتصميما لرؤية هذه الخيل، وهذا الفارس الشجاع.

**الأصوات المهموسة:**

الصوت المهموس هو الصوت الذي لا تهتز الأوتار الصوتية عند النطق به[١]، ويجري معها النفس مثل (السين والفاء والحاء والميم)، ويظهر ذلك في مقدمة اللامية عند حديث الشاعر عن محبوبته سلمي **(صحا القلب عن سلمى ومل العواذل وما كاد لأيا حب سلمى يزايل)** فجاءت حروف الهمس (السين والصاد والحاء والفاء لتدل على حزن الشاعر وبعد محبوبته عنه، والندم والأسى على ما فات، وفي وصف شَعر المحبوبة **(وأسحم ريان القرون كأنه أساود رمَّان السباط الأوائل)**، جاء حرف **(السين والنون )** ليدلان علي انسياب ونعومة وحركة هذا الشَعر مرتبطا بصورة حركة حية الرمال التي تسير بسرعة فيها، فدلت حروف الهمس في خلق جو من الهدوء، وناسبت حالتي بُعد المحبوبة ،وحالة وصف شَعر محبوبته، وارتباطها بجزء من البيئة التي يعيش فيها.

**الطباق :**

يحمل الطباق دلالات موسيقية تخدم غرض الشاعر وتجربته، وتعبر عن مكنون النص الشعري وتفاعلاته العميقة ويظهر ذلك في وصف الترس، والسيف **(وجوب يري كالشمس في طخية الدجي وأبيض ماض في الضريبة قاصل)** جاء

(١) **علم اللغة العام** "**الأصوات**"، كمال بشر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٠١ .

الطباق في قوله **(طخية الدجي)** و**(أبيض ماض)** ليظهر مدي شدة لمعان هذا السيف وضياءه في الظلام ، فهو سيف قوي بتار.

يظهر استخدام الشاعر للأصوات المختلفة في لاميته، توظيفه لجودة الحروف لتقوية المعنى وتعزيزه، فبالنظر في اللامية نري التحولات الموضوعية داخل القصيدة من الندم على ما فات والحزن على الشباب الذي ولى، ووصف المحبوبة وربطها بمفردات بيئته استخدم الشاعر خصائص صوتية لينة رخوة لتبرز عاطفة الشاعر وتجربته الحزينة، بينما جاءت الأصوات المجهورة القوية لتؤكد على الشجاعة والقوة ووصف الخيل، وأدوات الحرب مما يعزز المعنى ويعمق التأثير النفسي .

وبعد فقد جاءت الموسيقى الداخلية في لامية المزرد بن ضرار عنصرًا كاشفًا بإبراز مفردات البيئة ،ولم تستخدم كزينة وزخرفة لفظية، بل جاءت كأداة فنية تخدم الغرض والمعنى فذلك يدل على قدرة الشاعر على خلق نسيج صوتي ولفظي متناغم.

## ✍ الخاتمة

الحمد لله الخالق المبدع الوهاب الذي من على خلقه بالعلم والإيمان والبيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ﷺ) أما بعد :

**فقد أسفرت هذه الدراسة عن عدة نتائج من أهمها :**

١- الحضور البارز للمفردات البيئية في شعر المُزَرِّد بن ضِرار، فقد كشفت الدراسة عن حضور كثيف للمفردات البيئية في النتاج الشعري له ، مؤكدة دورها الرئيس في تشكيل البنية الجمالية الداخلية للنص.

٢- إظهار صورة الصحراء وما فيها من مفردات بيئية تدل على أهميتها في شعر شعراء الجاهليين وبخاصة المزرد بن ضرار .

٣-توظيف بيئي عميق للمفردات :لم يقتصر توظيف المزرد للمفردات البيئية في لاميته على مجرد رصد الظواهر الطبيعية إنما عمل على كشف هذا التوظيف عن مكنونات الخطاب الشعري، وأضفى على النص ثراءً وعمقًا وحيوية تفوق الوصف السطحي.

٤- إن الطبيعة كانت مصدرًا ثرا غنيًا استقى منه الشاعر صوره الفنية ومعانيه التي قصد إليها .

٥-لغة القصيدة تعكس الانتماء البيئي وتعززه: حيث جاءت ألفاظ القصيدة معبرة بوضوح عن ارتباط المزرد ببيئته وفنائه فيها، فقد اكتست القصيدة ثوب البداوة الأصيل، وتسربلت بلباس الجاهلية من بدايتها إلى نهايتها ،كما يلحظ وجود بعض الألفاظ الخشنة والصعبة التي لم تذكرها المعاجم، وهي سمة غالبة في شعره تعكس أصالة بيئته.

٦- جاءت الموسيقى في لامية المزرد بن ضرار عنصرًا كاشفًا بإبراز مفردات البيئة، ولم تستخدم كزينة وزخرفة لفظية، بل جاءت كأداة فنية تخدم الغرض والمعنى.

## ✍ فهرس المصادر والمراجع


[١] الأدب وفنونه – دراسة ونقد – عز الدين إسماعيل ، ط دار الفكر العربي .

[٢] الأسس الجمالية في النقد العربي ( عرض وتفسير ومقارنة ) د/ عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ط ١٩٧٤م.

[٣] أصول قديمة في شعر جديد، نبيلة الرزاز اللجيمي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.

[٤] الإيقاع العروضي في الشعر العربي وقيمته رسالة دكتوراه إعداد محمد أحمد مخلوف ، سنة ١٩٩٢م.

[٥] البناء العروضي للقصيدة العربية د/ محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

[٦] البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ١٩٩٨م.

[٧] تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، دار الفكر بيروت، ط أولى ١٤١٤هـ .

[٨] تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، د / شوقي ضيف ، دار المعارف، الطبعة الحادية عشرة.

[٩] التجديد في وصف الطبيعة بين أبي تمام والمتنبي، د/ نسيمة الغيث ط أولى ١٩٨٨م.

[١٠] تذوق الفن الشعري في الموروث النقدي والبلاغي د / حسن البنداري، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٩م.

[١١] جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، ط أولى ١٩٨٧م.

[١٢] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، د/ أحمد الحوفي ، ط دار العلم، بيروت ( د. ت) .

[١٣] دراسات في الشعر الجاهلي د/ يوسف خليف ، دار غريب للطباعة والنشر (د. ت ) .

[١٤] ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني ،برواية ابن السكيت وغيره وشرح ثعلب، عني بتحقيقه، خليل إبراهيم العطية ،قدم له العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي، مطبعة أسعد –بغداد ط،أولي ، ١٩٦٢م

[١٥] ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف الطبعة الخامسة.

[١٦] ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح د / محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، ط ثالثة ١٩٧٩م.
[١٧] سوسولجيا البيئة، زينب محمد عبد الكريم، منشورات جامعة بنغازي ليبيا .
[١٨] شرح المفصليات للمرزوقي، تحقيق ودراسة لغوية، أنور أحمد أحمد بدوي– قسم التحقيق – رسالة ماجستير – قسم اللغة العربية كلية التربية جامعة عين شمس ٢٠٠٣م.
[١٩] شرح المفضليات للمفضل الضبي ،المؤلف أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري،المحقق كارلوس يعقوب لايل ،مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٣٠.
[٢٠] شعر الطبيعة في الأدب العربي د/ سيد نوفل، القاهرة مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ،ط ١٩٤٥م.
[٢١] الشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري النشأة والتطور ، د / محمد مصطفى هدارة ، دار المعارف.
[٢٢] الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث بالقاهرة ١٩٩٦م.
[٢٣] الشماخ بن ضرار الذبياني – حياته وشعره، صلاح الدين الهادي، ط دار المعارف ١٩٦٨م.
[٢٤] الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق علي محمد البجاوي، محمد الفضل إبراهيم ، ط المكتبة العصرية بيروت ١٤١٩هـ.
[٢٥] طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، قرأه وشرحه د. محمود محمد شاكر، ط دار المدني ١٩٧٤م.
[٢٦] علم العروض والقافية ، د / عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت ، ١٤٠٧هـ.
[٢٧] علم اللغة العام "الأصوات"، كمال بشر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م
[٢٨] العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، المحقق محمد محي الدين عبد الحميد، ط – الخامسة ١٠٤١هـ – ١٩٨١م.
[٢٩] في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف ، دار المعارف مصر ط ثالثة ١٩٦٢م.

[٣٠] قضايا النقد الأدبي الحديث د / محمد السعدي فرهود ، مطبعة زهران بالقاهرة ١٩٦٨م.
[٣١] قيم جديد للأدب العربي القديم والمعاصر، د/ بنت الشاطئ ، ط دار المعارف.
[٣٢] لسان العرب لابن منظور: المحقق، عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي ،دار المعارف مصر القاهرة.
[٣٣] مجلة جذور قصيدة مزرد بن ضرار اللامية ،محمد فؤاد نعناع العدد رقم (١٠) السنة الخامسة، رجب ١٤٢٣هـ إصدار النادي الأدبي الثقافي بجدة .
[٣٤] معجم الشعراء للمرزباني، تحقيق عبد الستار محمد فراج، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة العدد (٩٣) سنة ٢٠٠٣م.
[٣٥] معجم ديوان الأدب للفارابي، تحقيق د / أحمد مختار عمر، مراجعة د/ إبراهيم أنيس، ط مؤسسة دار الشعب للصحافة والنشر القاهرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
[٣٦] المفضليات للمفضل الضبي، (المفضل بن محمد يعلى بن عامر بن سالم)،تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ،وعبدالسلام هارون، ص٩٤، ط دار المعارف ،الطبعة السابعة .
[٣٧] مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة ، د / فاطمة سعيد أحمد حمدان، مطبوعات جامعة أم القرى .
[٣٨] مقدمة ابن خلدون، تحقيق : حامد أحمد الطاهر ، القاهرة، مصر، دار الفجر للتراث، ٢٠٠٤م.
[٣٩] منتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون ، تحقيق وشرح الدكتور محمد نبيل طريفي، دار صادر بيروت ط أولى ١٩٩٩م.
[٤٠] النابغة الذبياني ، د / محمد زكي العشماوي ، دار المعارف ١٩٧٩م.
[٤١] النقد الأدبي الحديث د / محمد غنيمي هلال ، ط سادسة ٢٠٠٥م، طبعة نهضة مصر.
[٤٢] الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي ، ومنشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت (د.ت).

# فهرس الموضوعات


| م | الموضـوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١- | ملخص | ١٥٢١ |
| ٢- | Abstract | ١٥٢٢ |
| ٣- | ✍ المقدمة | ١٥٢٣ |
| ٤- | ✍ التمهيد | ١٥٢٦ |
| ٥- | ✍ المبحث الأول : مفردات البيئة في لامية المزرِّد بن ضرار | ١٥٣٠ |
| ٦- | ✍ المبحث الثاني: جماليات الفن في لامية المزرد بن برد | ١٥٥٣ |
| ٧- | ✍ الخاتمة | ١٥٧٣ |
| ٨- | ✍ فهرس المصادر والمراجع | ١٥٧٤ |
| ٩- | فهرس الموضوعات | ١٥٧٧ |